

السلسلة الأولى: سير الآل والأصحاب (٩)

إني رُزقت حُبّها

السيرة العطرة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

محمد سالم الخضر

٢٣٩ الخضر ، محمد سالم .
إني رزقت حبها / محمد سالم الخضر. ط .١ - الكويت: مبرة الآل والأصحاب، ٢٠٠٩
٨٤ ص؛ ٢٤سم. - (سير الآل والأصحاب ؛ ٩)
ردمك : ٩٧٨ - ٩٩٩٠٦ - ٦٧٤ - ٧ - ٩
١- السيرة النبوية ٢- زوجات النبي ٣- أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها
أ - العنوان ب- السلسلة

رقم الإيداع : ٢٠٠٨ / ٣١٨
ردمك : ٩٧٨ - ٩٩٩٠٦ - ٦٧٤ - ٧ - ٢

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

مبرة الآل والأصحاب
هاتف: ٢٢٥٦٠٢٠٣ - ٢٢٥٥٢٣٤٠ فاكس: ٢٢٥٦٠٣٤٦
ص. ب: ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي ٧١٦٥٥ الكويت
www.almabarrah.net
E-mail: almabarrh@gmail.com

الفهرس

- مُقَدِّمَة ٥
- شريفة بني أسد ٧
- إخوتها وأخواتها ١٠
- زواجها الأول ١٣
- دينها قبل الإسلام ١٥
- خديجة التاجرة ١٧
- زواجها من الحبيب المصطفى ﷺ ١٩
- من تولى تزويجها؟ ٢٣
- روايات ضعيفة في أمر التزويج ٢٤
- عمرها حين تزوجها النبي ﷺ ٢٨
- في بيت الزوجية ٣٢
- عبادتها ٣٥
- أولادها من رسول اللّه ﷺ ٣٦
- أولادها من غير رسول اللّه ﷺ ٣٢
- إني رُزقت حُبها ٤٦
- إسلامها ومؤازرتها لرسول اللّه ﷺ ٥٣
- حين نزل الوحي ٥٣
- قصة زائفة في امتحان خديجة للوحي ٥٧
- في شِعب بني هاشم ٦٠
- وفاتها رضي الله عنها ٦٢
- فضلها وعظيم قدرها ٦٦
- ما ورد في شأنها من الأحاديث الصحيحة ٧٢
- بعض ما رُوي عنها أو في حقها من الأحاديث الضعيفة ٧٥
- الخاتمة ٨٠
- المراجع ٨١

مقدمة

ها نحن نقف - عزيزي القارئ - عند معين فيّاض من التضحية والتفاني في دين اللَّه عز وجل، نقف هاهنا لنرتوي من مائه العذب، لعلنا نسد رمق عطشنا إلى مثل هذه النماذج الإيمانية اليوم.

أيها القارئ الكريم... نحن أمام امرأة ليست كباقي النساء.

لئن قال اللَّه تعالى في نساء النبي ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[1].

فإنّ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فوق هذا ليست كأحد من نساء النبي ﷺ.

فهي أول من آمن من النساء بالاتفاق بل أول من آمن مطلقاً[2].

وهي أقرب زوجات النبي ﷺ إليه حباً ومكانة، بل أقربهنّ نسباً ما خلا أُمّ حَبِيبَة رضي الله عنها[3]، فإنّ النبي ﷺ لم يتزوج مِنْ ذُرِّيَّة قُصَيّ غَيْرها[4].

عُرفت برجاحة العقل، ونُبل الأخلاق، وطهارة السيرة حتى أُعجبت بها مكة بأسرها، وصار الناس يعرفونها بلقب أطلقوه عليها هو «الطاهرة».

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٢ .

(٢) قاله العيني في عمدة القاري (١/ ٦٣)، وقال الزهري وقتادة وموسى بن عقبة وابن إسحاق والواقدي وسعيد ابن يحيى: أول من آمن باللَّه ورسوله خديجة، وأبو بكر، وعليٌّ رضي الله عنهم، انظر سير أعلام النبلاء (١/ ١٠٢).

(٣) أم حبيبة رضي الله عنها تجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف بن قصي.

(٤) فتح الباري (٧/ ١٣٤).

فكانت بما حباها اللَّه تعالى من الأخلاق ورجاحة العقل، وبما فرضت عليها تجارتها التي كانت تُشرف عليها من حُسن الإدارة والإشراف والحزم عند اتخاذ القرار مُهيّأة تمام التهيؤ لِأن تكون رفيقة درب النبي ﷺ وشريكة حياته ونصيرة دعوته بل وزوجته في الآخرة.

ولوجود مثل هذه المقومات العظيمة في شخصيتها رضي الله عنها كانت أول من بادر وقَبِل عن النبي ﷺ دعوته دون تردد.

إني على ثقة بأني مهما تحدثت أو كتبت فإني لن أوفي أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها حقها، فقدرها ومكانتها وحبها في قلب رسول اللَّه ﷺ وقلوبنا أكبر مما يسطره هذا القلم، لكنها محاولة جادة للوقوف على أبعاد هذه الشخصية العظيمة قدر الإمكان، سائلًا المولى عز وجل أن يتجاوز عن التقصير والزلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

محمد سالم الخضر

alboshra1975@yahoo.com

شريفة بني أسد

للعرب عناية عظيمة بالنسب لم تُعرف في غيرهم من الأمم، وللنسب عندهم قيمة اجتماعية كبيرة، إذ به يُعرف الأصيل من الوضيع، وشريف القوم من دنيئهم.

وقد تجلى هذا الاهتمام أيضاً في عناية العلماء بأنساب الجاهليين وأنساب الصحابة في مؤلفاتهم المبثوثة في المكتبة الإسلامية.

لقد كانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذات نسب مرموق في قريش، فهي خديجة بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

وَكَانَ أَبُوهَا (خويلد) ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ وَنَزَلَ مَكَّةَ وَحَالَفَ بِهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ[(١)].

وأما أمها فهي فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حَجَر بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر[(٢)].

فخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من جهة أبيها أسدية، وبنو أسد من (قبائل البطاح)[(٣)] وقد

---

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ١٤-١٥).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ١٨٩).

(٣) قريش البطاح هي قبائل بني عبد مناف وبني عبد الدار وبني عبد العزّى وبني عبد قصي وبني زهرة وبني مخزوم وتيم بن مرّة وجمح وسهم وعديّ وبني عتيك بن عامر بن لؤي. وقصّي هو الذي أدخل البطون المذكورة الأبطح. فسمّوا البطاح. أما بقية بطون قريش فنزلوا بظواهر مكة وجبالها فسمّوا بقريش الظواهر، وكانوا أعراباً وأصحاب قتال. (انظر: المحبر لابن حبيب ص١٦٧ وما بعدها، وأنساب الأشراف للبلاذري ص٣٩-٤١).

ورثوا الشرف في قومهم عن قصي بن كلاب.

وقد كان الشرف والرياسة من قريش في الجاهلية في بني قصي، لا ينازعونه ولا يفخر عليهم فاخر. فلم يزالوا ينقاد لهم ويرأَّسون.

وكانت لقريش ست مآثر كلها لبنى قصى دون سائر قريش. هي الحجابة، والسقاية، والرفادة، والندوة، واللواء، والرياسة.

فلما هلك حرب بن أمية، وكان حرب رئيساً بعد المطلب، تفرقت الرياسة والشرف في بني عبد مناف. فكان في بني هاشم: الزبير، وأبو طالب، وحمزة، والعباس بنو عبد المطلب.

وفي بني أمية: أبو أحيحة، وهو سعيد بن العاص بن أمية، وهو «ذو العمامة»: كان لا يعتم أحد بمكة بلون عمامته إعظاماً له. وهو قول الشاعر:

فتاة أبوها ذو العمامة منهم ومروان ما أكفاؤه بكثير

وفي بني المطلب: عبد يزيد بن هاشم بن المطلب. وعبد يزيد هذا هو «المحض لا قذى فيه».

وفي بني نوفل: المطعم بن عدي بن نوفل.

وفي بني أسد بن عبد العزى: خويلد بن أسد، وعثمان بن الحويرث بن أسد[1].

وقد ورث بنو أسد عن قصي شأناً من شؤون الرياسة والشرف لم يشاركهم

(١) المحبر لابن حبيب: (ص١٦٤).

فيه أحد، وهي(دار الندوة)، دار شورى قريش.

قال **أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ)**: «(دَار الندوة) مُشْتَقَّة من الندى والنادي وَهُوَ الْمجْلس يضْرب بهَا الْمثل فى انتياب النَّاس إِيَّاهَا واجتماعهم بهَا وهى دَار قصي بْن كلاب بِمَكَّة كَانَت تُوضَع فِيهَا الرفادة وَلَا تزوج قرشية وَلَا قرشي إِلَّا بهَا وَلَا يعْقد لِوَاء الْحَرْب إِلَّا فِيهَا ثمَّ تنقلت بهَا الْأَمْلَاك بعده حَتَّى صَارَت فى يَد أَسد بن عبد الْعُزَّى بن قصي وَولده وَآخر من وَليهَا مِنْهُم حَكِيم بن حزَام».

وقال: «وَلم يكن يدْخل دَار الندوة أحد من قُرَيْش لمشورة حَتَّى يبلغ أَرْبَعِينَ سنة إِلَّا حَكِيم بن حزَام فَإِنَّهُ دَخلهَا وَهُوَ ابْن خمس عشرَة سنة وَجَاء الْإِسْلَام وَدَار الندوة بيد حَكِيم فَبَاعَهَا بعد من مُعَاوِيَة بِمِائَة ألف دِرْهَم فَقَالَ لَهُ عبد اللَّه بن الزبير بِعْت مكرمة قُرَيْش! فَقَالَ حَكِيم: ذهبت المكارم إِلَّا من التَّقْوَى يَا ابن أخي؛ إني اشْتريت بهَا بَيْتاً في الْجنَّة أشهدك أَني جعلت ثمنهَا في سَبِيل اللَّه»[(١)].

أما نسب خديجة من جهة أمها فهو قرشي أيضاً، فأمها فاطمة بنت زائدة من (قريش الظواهر)[(٢)]. وقد كان قرشيو البطاح يتزوجون من نساء الظواهر.

ولهذا قال **الإمام ابن إسحاق (١٥١هـ)** عن نسب خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَكَانَتْ خَدِيجَةُ يَوْمئِذٍ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَباً، وَأَعْظَمَهُنَّ شَرَفاً»[(٣)].

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: (ص٥١٨).
(٢) ورد في (أنساب الأشراف ١/ ٣٩) للبلاذري أنّ بني معيص بن عامر بن لؤي (قوم أم خديجة) من قريش الظواهر.
(٣) السيرة النبوية (١/ ١٨٩).

وقد كانت تُدعى في الجاهلية بالطاهرة[١]، لعفافها وصيانتها وشرفها وكمالها.

وفي سِيَر التيمي أنها كانت تُسَمّى: سيدة نساء قُريش[٢].

فهي سيدة ورثت السيادة كابراً عن كابر.

إخوتها وأخواتها

١- **نوفل بن خويلد:** وهو والد الأسود[٣] رضي الله عنه.

وهو الوحيد من بين إخوتها الذكور الذي عاصر النبوة بل كان من أشد الناس أذى للنبي ﷺ وللمسلمين قبل الهجرة.

فقد ذكر المؤرخون أنه كان من أشد قريش شجاعة وأذى للمسلمين في الجاهلية. وكان يُدعَى (أسد قريش) وهو الذي قرن أبا بكر الصديق وطلحة بن عبيد اللَّه، حين أسلما، في حبل. فكانا يسميان (القرينين) لذلك. شهد الوقائع مع قريش. وكان النبي ﷺ يدعو يوم بدر: «اللَّهم اكفنا ابن العدوية» وأمه من بني عدي بن خزاعة. قتله علي بن أبي طالب يوم بدر[٤].

---

(١) روى الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٤٤٨) عن الزبير بن بكار قوله: «أم بني رسول اللَّه ﷺ وبناته غير إبراهيم خديجة بنت خويلد، وكانت تُدعى في الجاهلية (الطاهرة)».

(٢) الروض الأنف (١/ ٣٢٥).

(٣) الأسود بن نوفل بن خويلد، كَانَ قَدِيمَ الْإِسْلَام بِمَكَّةَ، وَهَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، ذكر ابن سعد في ترجمته -لأبي الأسود يتيم عروة- أنه توفي بالحبشة، وخالفه ابن حجر في (الإصابة) فذكر أنه هاجر بعد ذلك إلى المدينة النبوية بعد قدوم النبي ﷺ لها. (الطبقات الكبرى ٤/ ١٢٠ والإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٢٩).

(٤) الأعلام للزركلي (٨/ ٥٤) وانظر: الطبقات الكبرى (٣/ ٢١٥) وأسد الغابة (١/ ١٠٦).

لم ينقل لنا التاريخ شيئاً عن علاقته بخديجة رضي الله عنها لكنّ عدواته الظاهرة للإسلام والمسلمين، وإيذاءه لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم تفرضان جفاءً كبيراً في العلاقة بينه وبينها.

إذ يستحيل أن يعلم بإسلام أخته خديجة رضي الله عنها ووقوفها إلى جانب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في مواجهته لقريش، ويكون هو من أشد الناس إيذاءً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولمن آمن، ثمَّ تبقى الصلة بينه وبينها بشكلها الأخوي الطبيعي.

٢- **حزام بن خويلد:** وهو والد حكيم رضي الله عنه[١].

قتل يوم الفجار الأخير[٢].

٣- **العوّام بن خويلد:** وهو والد الزبير رضي الله عنه.

قتل يوم الفجار أيضاً[٣].

وأما الأخوات فهنّ:

١- **هالة بنت خويلد** رضي الله عنها، وهي أم أبي العاص بن الربيع رضي الله عنه زوج زينب بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) حكيم بن حزام بن خويلد، أسلم يوم فتح مكة وكان كريماً جواداً وأحد علماء قريش بالنسب، وكان «حكيم» يكنى: أبا خالد- وشهد «بدراً» مع المشركين، فلم يقتل ولم يؤسر. ثم أسلم وحسن إسلامه، وكان إذا حلف وشدّد في اليمين قال: والّذي نجّاني يوم بدر. عاش في الجاهلية ستّين سنة، وفي الإسلام ستّين سنة، وكان من المؤلّفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه. ومات بالمدينة سنة أربع وخمسين. (المعارف ص٢١٩ وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٥/ ٩٧ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٥/ ٢٦٨).

(٢) تاريخ الطبري (١١/ ٥١٥) وتاريخ دمشق (١٥/ ٩٧).

(٣) المعارف (ص٢١٩).

تزوجها أولاً الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، ثُمَّ خلفه عليها بعد وفاته أخوه ربيعة بن عبد العزى، ثم وهب بن عبد بن جابر الثقفي، ثُمَّ قطن بن وهب بن عمرو الخزاعي[١].

٢- **رُقيقة بنت خويلد:**

تزوجها عبد اللَّه بن بجاد بن الحارث بن حارثة بن سَعْد بْن تيم بْن مرة بْن كعب[٢].

٣- **خالدة بنت خويلد:**

تزوجها علاج بْن أبي سلمة بْن عبد العزى بْن غيرة الثقفي[٣].

ووهِم الحافظ ابن حجر فذكر **(الطاهرة بنت خويلد)** من جملة أخوات خديجة قائلاً: (الطّاهرة بنت خويلد: أخت خديجة زوج النبيّ ﷺ. ذكرها الزّبير بن بكّار)[٤]

والصحيح أنّ (الطاهرة) لقبٌ لقبّت به خديجة رضي الله عنها ولم يكن اسماً لأخت لها، وكلام الزبير بن بكار نفسه يفيد هذا، حيث قال: (كانت خديجة تذكر في الجاهلية الطاهرة بنت خويلد)[٥].

---

(١) أنساب الأشراف (١/ ٤٠٦).
(٢) المصدر السابق
(٣) أنساب الأشراف (١/ ٤٠٦) والمحبر (ص١٠٠).
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٢٤).
(٥) البداية والنهاية (٥/ ٣٢٩).

زواجها الأول

اتفق المؤرخون على أنّ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت قد تزوجت قبل الرسول ﷺ باثنين هما: أبو هالة هند بن النباش بن زُرارة الأسيدي التميمي[(١)]، وعتيق بن عابد بن عبد اللَّه المخزومي، وأنجبت منهما.

لكنهم اختلفوا في ترتيب هذه الزيجات، فذهب **ابن حبيب (٢٤٥هـ) والبلاذري (٢٧٩هـ)** إلى أنها تزوجت أولًا أبا هالة هند بن النباش بن زُرارة الأسيدي التميمي، فولدت له هالة[(٢)] وهنداً؛ سُمّي باسم أبيه، ثم خلف عليها من بعده عتيق بن عابد بن عبد اللَّه المخزومي[(٣)] فولدت له جاريةً تُدعى «هنداً»[(٤)].

وذهب **ابن إسحاق (١٥١هـ) والفسوي (٢٧٧هـ) والطبري (٣١٠هـ) والمطهر المقدسي** (٣٥٥هـ) إلى أنها تزوجت قبل النبي ﷺ - وهي بكر- عتيق بن عائذ المخزومي، فولدت له امرأة ثم هلك عنها، فتزوجها بعده أبو هالة النباشي بن زرارة، فولدت له رجلًا وامرأة، ثم هلك عنها،

---

(١) ذكر ابن حبيب في (المنمق) أنّ أباه (النباش بن زرارة) كان حليفاً لبني نوفل بن عبد مناف، غير أنّ سبب هذا الحلف ليس معلوماً.

(٢) اختلف في (هالة) أذكر هو أم أنثى، فذهب ابن حبيب في (المنمق) إلى الأول، وذهب مصعب الزبيري في (نسب قريش) إلى الثاني، والأول أشهر.

(٣) ذكر البلاذري في (أنساب الأشراف ١/ ٤٠٦) أنّ عتيقاً طلقها.

(٤) المحبر (ص٤٥٢) وأنساب الأشراف (٢/ ٥٣٧) وسير أعلام النبلاء (٢/ ١١١) وروى الفسوي في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٦٧) عن الزهري تقديم عتيق على أبي هالة، بهذا قال ابن هشام أيضاً، أي بأن أبا هالة خلف عتيق بن عابد على خديجة، وذهب ابن عبد البر إلى أن أول أزواجها هو أبو هالة وخلفه عتيق، ونسب ابن عبد البر هذا القول للأكثر، وكذلك أورده ابن سعد وصاحب المحبر.

فتزوجها رسول اللَّه ﷺ[١].

وذكر **ابن حبيب** في (المحبّر) و**البلاذري** في (أنساب الأشراف) أنّ خديجة رضي الله عنها كانت بعد طلاقها من عتيق المخزومي مسماة لورقة بن نوفل[٢]، فآثر اللَّه عز وجل بها نبيه ﷺ[٣].

بينما يرى **ابن سعد (٢٣٠هـ)** أنها رضي الله عنها كانت قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا أَحَدٌ قَدْ ذُكِرَتْ لِوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ فَلَمْ يُقْضَ بَيْنَهُمَا نِكَاحٌ فَتَزَوَّجَهَا أَبُو هَالَةَ[٤].

لقد عاشت خديجة رضي الله عنها الحياة الزوجية مرتين، وتولّد لها من هاتين التجربتين قناعة راسخة أنها لن تختار لها زوجاً من قريش أو غيرها دون تأنٍ، وإعمال فكرٍ في مقومات شخصية المتقدمين لخطبتها والذين لم ترَ فيهم -على ما يبدو- ما يدعوها للموافقة.

ومن يدري! فلعلها لم تكن راغبة حينئذ في الزواج أصلاً حتى رأت في محمد ﷺ ما كانت تتمناه وتصبو إليه من أخلاق كُمّل الرجال، فسعت بعد ذلك للزواج منه.

ففي (الطبقات) **لابن سعد** عن نفيسة بنت مُنية[٥] أنها قالت: «كانت

---

(١) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٦٨) وتاريخ الطبري (٣/ ١٦١) والبدء والتاريخ (٤/ ١٣٨-١٣٩).

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى رضي الله عنه، ابن عمِّ خديجة رضي الله عنها، تنصر في الجاهلية، ثمَّ آمن بالنبي ﷺ لمّا حكى له ما جرى بينه وبين جبريل عليه السلام في الغار، لكنه توفي قبل أن يُؤمر النبي ﷺ بالتبليغ.

(٣) المحبر (ص٧٩) وأنساب الأشراف (٢/ ٥٣٧).

(٤) الطبقات الكبرى (٨/ ١٤).

(٥) كانت من صديقات أم المؤمنين خديجة، تنسب إلى أمها منية، وهي أخت يعلى بن أمية، ذكرها في الصحابة ابن حجر في (الإصابة) وابن الأثير في (أسد الغابة) باسم (نفيسة بنت أمية). =

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد اللَّه بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالًا، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الأموال . .»(١).

دينها قبل الإسلام

لم تذكر كتب التواريخ على اهتمامها الواضح بالحنفاء في البيئة المكيّة أنّ خديجة رضي الله عنها منهم، والأصل في المسألة أن يُقال: إنّ خديجة رضي الله عنها كانت على دين قومها ثم كانت أول من فارقه حين بعث اللَّه تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم هادياً ومبشراً ونذيراً.

وليس من الغريب أن تنشأ خديجة رضي الله عنها في بيئة وثنية يعبد قومها فيها الأصنام فتشاركهم هذا المعتقد، فإنّ ذلك ليس فيه انتقاصٌ لمقام أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها كما يتصور بعض المغالين.

«ومن المعلوم أنه قد يكون التائب من الظلم أفضل ممن لم يقع منه ، ومن اعتقد أنّ كل من لم يكفر ولم يُذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله وتاب بعد ذنوبه، فهو مخالف لما عُلم بالاضطرار من دين الإسلام، فمن المعلوم أنّ السابقين أفضل من أولادهم(٢) وهل يُشبّه أبناء

= قال ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٢٤٤): (وقد أسلمت نفيسة بنت منية. وهي التي كانت سعت فيما بين رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة بنت خويلد حتى تزوجها رسول اللَّه. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يعرف لها ذلك).

(١) الطبقات الكبرى (١/ ١٣١).

(٢) مع أنّ أولادهم قد وُلدوا على الإسلام وتربوا عليه بينما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار كانوا على الشرك ثم اعتنقوا الإسلام.

المهاجرين والأنصار بآبائهم عاقل؟!»[(١)].

ولهذا لا بد لي أن أبدي استغرابي من بعض الكتابات المعاصرة التي حاولت جاهدت إثبات أنّ خديجة رضي الله عنها كانت حنيفيةً أو نصرانية!

ومن هذه الكتابات كتاب (خديجة بنت خويلد - سيدة في قلب المصطفى) للأستاذ محمد عبده يماني رحمه الله، فإنه أطال النفس في الموضوع وبحديث عاطفي يفتقد إلى الدليل والبرهان مدّعياً أنها رضي الله عنها كانت على دين إبراهيم عليه السلام قبل إسلامها.

ومثل هذا الكلام سهل أن يُقال في خديجة رضي الله عنها أو غيرها، لكن الحقائق والبراهين لا تثبت بالعاطفة أو برغباتنا الشخصية.

لقد كانت قريش تعبد الأصنام وتجتهد في خدمتها وتخص (العزّى) منها بالزيارة والهدية.

وعبد العزّى هو جدُّ خديجة رضي الله عنها، وإنما سُمّي بهذا الاسم لأنّ قريشاً كانت تعبد (العزّى) وتعظمها.

قال **ابن الكلبي (٢٠٤هـ)** في كتابه (الأصنام):

«وَكَانَتِ الْعَرَب وقريش تسمى بهَا عبد الْعُزَّى، وَكَانَت أَعْظَمَ الأَصْنَام عِنْدَ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا يَزُورُونَهَا وَيُهْدُونَ لَهَا وَيَتَقَرَّبُونَ عِنْدَهَا بِالذَّبْحِ»[(٢)].

وقال: «وَلَمْ تَكُنْ قُرَيْشٌ بِمَكَّةَ وَمَنْ أَقَامَ بِهَا مِنَ الْعَرَبِ يُعَظِّمُونَ شَيْئاً مِنَ الأَصْنَامِ إِعْظَامَهُمُ الْعُزَّى ثُمَّ اللاتَ ثُمَّ مَنَاةَ. فَأَمَّا الْعُزَّى فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَخُصُّهَا

(١) من كلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله، وانظر كلامه في منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٩٨) بتصرف.
(٢) الأصنام (ص١٨).

دُونَ غَيْرِهَا بِالزِّيَارَةِ وَالْهَدِيَّةِ، وَذَلِكَ فِيمَا أَظُنُّ لقربها كَانَ مِنْهَا. وَكَانَتْ ثَقِيفٌ تَخُصُّ اللاتَ كَخَاصَّةِ قريشٍ الْعُزَّى، وَكَانَتِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ تَخُصُّ مَنَاةَ كَخَاصَّةِ هَؤُلَاءِ الآخرين وَكلهمْ كَانَ مُعظماً لَهَا أَي للعزى»[١].

خديجة التاجرة

كان أهل مكة أهل تجارة، ينقلون من إفريقية الصمغ، والعاج، والتبر، وخشب الآبنوس، ومن اليمن الجلود، والبخور، والثياب، ومن العراق التوابل، ومن حاصلات الهند الذهب، والقصدير، والحجارة الكريمة، والعاج، وخشب الصندل، والتوابل، والزعفران، ومن مصر والشّام الزيوت والغلال والأسلحة والحرير والخمور.

وكانوا يرسلون إلى بعض الملوك والأمراء ما يستطرف من بضائع مكّة، وكان من أعجب ما يختار منها الأدم، وهي الجلود، كما فعلت قريش حين بعثت إلى النّجاشيّ- ملك الحبشة- عبد اللَّه بن ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل، ليستردّا من هاجر من المسلمين إلى الحبشة، فأرسلوا معهما من الهدايا ممّا يستطرف من متاع مكّة وكان الأدم.

وكانت من النساء تاجرات، لهنّ نشاط في إرسال القوافل التجارية إلى الشام وغيرها، اشتهرت منهن خديجة بنت خويلد، والحنظلية أمّ أبي جهل[٢]، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْ

---

(١) الأصنام (ص٢٧).

(٢) ففي الطبقات الكبرى (٨/ ٣٠٠) عن الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ: دَخَلْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ مُخَرِّبَةَ أُمِّ أَبِي جَهْلٍ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَكَانَ ابْنُهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ يَبْعَثُ إِلَيْهَا بِعِطْرٍ مِنْ الْيَمَنِ وَكَانَتْ تَبِيعُهُ إِلَى الْأَعْطِيَةِ فَكُنَّا نَشْتَرِي مِنْهَا . . . الحديث.

وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢][1].

قال **ابن إسحاق (١٥١هـ)**: «كانت خديجة رضي الله عنها تاجرة، ذات شرفٍ ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتُضاربهم إيّاه بشيء تجعلُه لهم، وكانت قريشٌ قوماً تُجاراً، فلما بلغها عن رسول اللَّه ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعِظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وَتُعْطِيهِ أفضَلَ مَا كَانَتْ تُعطي غيرَه مِنْ التُّجَّارِ، مَعَ غُلَامٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ: مَيْسَرة، فَقَبِلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَخَرَجَ فِي مَالِهَا ذَلِكَ، وَخَرَجَ مَعَهُ غلامُها مَيْسَرَةُ، حَتَّى قدم الشام»[2].

ومن خلال معاشرة ميسرة للنبي ﷺ رأى من أمانته ﷺ وسمو خلقه وبركته[3] ما حكاه لسيدته خديجة رضي الله عنها، فرغبت في أن يكون النبي ﷺ زوجاً لها، فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها «نفيسة بنت مُنية» والتي بدورها ذهبت إليه ﷺ تفاتحه أن يتزوج خديجة.

تقول نفيسة بنت مُنية: «فأرسلتني دسيساً إلى محمَّد بعد أنْ رجع في عيرها من الشام، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزَوَّجَ؟ فَقَالَ: «مَا بِيَدِي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ» قُلْتُ: فَإِنْ كُفِيتَ ذَلِكَ، وَدُعِيتَ إِلَى الْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالشَّرَفِ وَالْكَفَاءَةِ أَلَا تُجِيبُ؟ قَالَ: «فَمَنْ هِيَ؟» قُلْتُ: خَدِيجَةُ قَالَ: «وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟» قَالَتْ:

---

(١) السيرة النبوية للندوي (ص١٤١).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٧١).

(٣) فمن ذلك أنه وقع بين الرسول ﷺ ورجل تلاحٍ في البيع، فقال الرجل للنبي ﷺ: احلِف باللات والعزى، فقال النبي ﷺ: «ما حلفت بهما قط، وإني لأمُرّ فأعرض عنهما». وفي القصة أيضاً أنّ تجارة الرسول ﷺ ربحت ضِعف ما كانوا يربحون، وأضعفت ما كانت تُعطي لغيره من قريش.

قُلْتُ: عَلَيَّ، قَالَ: «فَأَنَا أَفْعَلُ» فَذَهَبْتُ، فَأَخْبَرْتُهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنِ ائْتِ لَسَاعَةِ كَذَا وَكَذَا، وَأَرْسَلَتْ إِلَى عَمِّهَا عَمْرِو بْنِ أَسَدٍ لِيُزَوِّجَهَا، فَحَضَرَ وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عُمُومَتِهِ، فَزَوَّجَهُ أَحَدُهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ: هَذَا الْبِضْعُ لَا يُقْرَعُ أَنْفُهُ»[(١)].

وقد استظهر **الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ)** من تعامل خديجة رضي الله عنها مع النبي ﷺ في تجارتها وخِطبتها وشؤونها كلها إكبارها له ﷺ وتعظيمها لمقامه، فقال: «ومن مزايا خديجة أنها ما زالت تعظّم النبي ﷺ، وتصدق حديثه قبل البعثة وبعدها، وقالت له لما أرادت أن يتوجّه في تجارتها: إنه دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك، ذكره ابن إسحاق.

وذكر أيضاً أنها قالت لما خطبها: إني قد رغبت فيك لحسن خلقك، وصدق حديثك»[(٢)].

زواجها من الحبيب المصطفى ﷺ

لقد كان محمد ﷺ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً، وكانت خديجة رضي الله عنها كذلك . . . عُرِف بالصادق الأمين، وعُرِفت هي بالطاهرة، تسامت نفسه عن أن يعرض عليها الزواج ابتداءً وهو أجير عندها، وتسامت هي عن مصارحته برغبتها في الزواج منه وهي صاحبة التجارة.

كان ﷺ أكمل الرجال مُطلقاً، وكانت هي أكمل نساء الأمة[(٣)]، والوحيدة

(١) الطبقات الكبرى (١/ ١٣١-١٣٢).

(٢) الإصابة (٨/ ١٠٢).

(٣) ففي «صحيح البخاريّ» عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة. =

من بين النساء الأربع اللاتي كملن يقدر أن يتزوجها[(١)] . . .

«إنك لا تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلة واتفاق في الصفات الطبيعية، لابد في هذا وإن قل، وكلما كثرت الأشباه زادت المجانسة وتأكدت المودة، فانظر هذا تره عياناً، وقول رسول اللَّه ﷺ يؤكده: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»، وقول مروي عن أحد الصالحين: «أرواح المؤمنين تتعارف»»[(٢)].

لكنك تقف بعد هذا كله لتثير في الذهن والضمير سؤالًا:

هل يُمكن لشاب في مقتبل العمر، لم يسبق له الزواج أن يقترن بمُطلقة أو أرملة؟

قد يبدو ذلك صعباً وغير مستساغٍ عند كثير من شبابنا اليوم أو في مجتمعاتنا المعاصرة بشكل عام.

وقد يسبق إلى ذهنك أنّ الأمر لم يكن كذلك عند القدماء، فكثيراً ما يتزوج المرء منهم ممن تكبره بالسن.

لكن النبي ﷺ يُعطينا بزواجه من أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا درساً جديراً بالاهتمام.

صحيح أنّ النبي ﷺ حض على اقتران الشباب بالأبكار، كما في وصيته

= ولهذا قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٨/ ١٠٢): فعلى هذا مريم خير نساء الأمة الماضية، وخديجة خير نساء الأمة الكائنة.

(١) فأما آسية ومريم عليهما السلام فقد مضتا، وأما فاطمة عليها السلام فابنته ولا تحل له، كما أنها ثمرة زواجه من خديجة عليها السلام.

(٢) طوق الحمامة (ص٩٧).

عليه الصلاة والسلام لجابر الأنصاري رضي الله عنه التي رواها لنا جابر نفسه بقوله: «تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً ثَيِّباً فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يا جَابِرُ تَزَوَّجْتَ. قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَبِكْرٌ أَمْ ثَيِّبٌ. قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبٌ يا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ أَوْ قَالَ: تُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ عَبْدَ اللَّه- يعني أباه- هَلَكَ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ - أَوْ سَبْعَ - وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ آتِيَهُنَّ أَوْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجِيءَ بِامْرَأَةٍ تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتُصْلِحُهُنَّ. قَالَ: فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ أَوْ قَالَ لِي خَيْراً»(١).

لا أنكر ذلك البتة ولا أدعو ابتداءً إلى خلاف تلك الوصية النبوية - معاذ اللَّه.

لكنني أود أن نستشعر معاً المعنى الجليل من وراء تلك النصيحة النبوية، فالنبي وهو أب للمؤمنين، حريصٌ كل الحرص على أن يوفر الزواج للشباب رغباتهم العاطفية بأكمل أوجهها، ولذلك لما نصح جابراً الأنصاري رضي الله عنه بهذه الوصية وجاءه رد جابر بأنّ سبب اقترانه بالثيب هو رعاية أخواته التسع أو السبع، وأنّ البكر لن ترفع عنه الحِمل بل ستزيده، أقره النبي ﷺ ودعا له بالبركة.

ولا شك أنّ الحض على الاقتران بالبكر لا يعني الإعراض عن الثيب إن كانت أكثر تميزاً.

ولا زال الصحابة رضوان اللَّه عليهم يتزوجون المطلقات والأرامل احتساباً للأجر أو رغبة في الصالحات وإن كن ثيبات.

(١) رواه البخاري في صحيحه - ح (٥٣٦٧)، ورواه مسلم في صحيحه - ح (٧١٥)، واللفظ لمسلم.

فالمرأة الصالحة خير متاع الدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[١].

ولئن كانت المرأة الصالحة هي خير متاع الدنيا، فإنه من الجدير بالمرء أن يُحسن اختيار متاعه.

فكيف إذا كانت المرأة التي نتكلم عنها هي سيدة نساء العالمين؟

إنّ «خديجة مثلٌ طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم. إنّ أصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية. ويلقون غبناً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون فرضه. وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، بل الإدراك والمعونة، وكانت خديجة سبّاقة إلى هذه الخصال وكان لها في حياة محمد ﷺ أثر كريم»[٢].

وقد تزوجها رسول اللَّه ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي أم أولاده كلهم خلا إبراهيم فمن مارية، ولم يتزوج غيرها قبلها ولا عليها حتى ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على الأصح، فأقامت معه أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر ثم توفيت[٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه - ح (١٤٦٧).
(٢) فقه السيرة للغزالي (ص٧٨).
(٣) عمدة القاري (١/ ٦٣).

من تولى تزويجها ؟

اختلف المؤرخون فيمن تولى أمر زواجها، فمال ابن إسحاق إلى القول بأنّ الذي زوّجها هو أبوها خويلد[١].

بينما ذهب الواقدي وأكثر أهل السير إلى أنّ الذي تولى تزويجها هو عمها عمرو بن أسد.

وعلّق الواقدي على ما يُروى عن تزويج أبيها خويلد لها بقوله: «فهذا كله عندنا غلط ووهل[٢] والثبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم أنّ أباها خويلد ابن أسد مات قبل الفجار وأنّ عمها عمرو بن أسد زوّجها رسول اللّه ﷺ»[٣].

قال **الصالحي (٩٤٢هـ)** في (سبل الهدى والرشاد): «ما تقدم من أنّ عمها هو الذي زوجها رسول اللّه ﷺ ذكره أكثر علماء أهل السير. قال **السهيلي**: وهو الصحيح، لما رواه الطبري عن جبير ابن مطعم وابن عباس وعائشة كلهم قال: إنّ عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول اللّه ﷺ، وإن خويلداً كان قد هلك قبل الفجار. ورجحه الواقدي وغلط من قال بخلافه.

وقال عمر بن أبي بكر المؤملي: المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذي زوجها منه.

وذكر الزهري في سيرته أنّ خويلداً أباها الذي زوجها منه وكان قد سكر من خمر، فألقت عليه خديجة حلة وضمخته بخلوق فلما صحا من سكره قال: ما

---

(١) قال في السيرة النبوية (٢/ ٦٤٣): «زَوَّجَهُ إيَّاهَا أَبُوهَا خُوَيْلِدُ بْنُ أَسَدٍ، وَيُقَالُ أَخُوهَا عَمْرُو بْنُ خُوَيْلِدٍ».

(٢) في كتاب أساس البلاغة (٢/ ٢٩): «ووهل عنه إذا غلط فيه وسها عنه».

(٣) الطبقات الكبرى (١/ ١٣١).

هذه الحلة والطيب؟ فقيل: إنك أنكحت محمداً خديجة وقد ابتنى بها. فأنكر ذلك ثم رضيه وأمضاه. ووافقه ابن إسحاق على ذلك، وذكر ابن إسحاق في آخر كتابه أنّ عمرو بن خويلد أخاها هو الذي زوجها. فاللَّه أعلم»[١].

وقد كان مهرها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفقاً لما ذكره أهل التواريخ «عشرين بَكْرة»[٢]، وقد حُكي أنّ الذي ذهب مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لخِطبة خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا هو حمزة ابن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٣].

روايات ضعيفة في أمر التزويج

وما دمنا قد ذكرنا اختلاف المؤرخين في الشخص الذي تولى تزويج أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأرى أنه من المهم أن أشير إلى بعض الروايات الضعيفة المشتهرة في هذا الموضوع لئلا يغتر بها مغتر أو يحتار في توجيهها طالب الحق، فأقول مستعيناً باللَّه تعالى:

إنّ روايات التزويج التي وقفت عليها من خلال استقرائي لسيرة أم المؤمنين خديجة العطرة تكاد تكون منحصرة في هذه الروايات الثلاثة وهي:

١- روى الإمام أحمد في مسنده عن حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس فيما يحسب حماد أنّ رسول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذكر خديجة وكان أبوها يرغب أن يزوجه فصنعت طعاماً وشراباً فدعت أباها وزمراً من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا، فقالت خديجة لأبيها: إنّ محمد بن عبد اللَّه يخطبني فزوجني إياه، فزوجها إياه فَخَلَّقَتْهُ[٤] وألبسته حلة وكذلك كانوا يفعلون

---

(١) سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٦٥-١٦٦).
(٢) البكرة هي الأنثى من الإبل فإذا كبرت صارت ناقة.
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ١٨٩).
(٤) أي وضعت عليه الخلوق، وهو نوع من الطيب.

بالآباء فلما سرى عنه سكره نظر فإذا هو مخلق وعليه حلة، فقال: ما شأني ما هذا؟ قالت: زوجتني محمد بن عبد اللّه، قال: أنا أزوج يتيم أبي طالب؟ لا لعمري فقالت خديجة: أما تستحي تريد أن تسفه نفسك عند قريش تخبر الناس أنك كنت سكران فلم تزل به حتى رضي[١].

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط معلّقاً: «إسناده ضعيف، شك حماد في وصله ثم إنه قد دلسه فقد رواه البيهقي في الدلائل عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمار بن أبي عمار. فعاد الحديث إلى علي بن زيد وهو ضعيف»[٢].

٢- روى البزّار في (مسنده) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول اللّه خديجة يقول عمار: أنا من أعلم الناس بتزويج رسول اللّه إياها كنت من إخوانه فكنت له خدنا وإلفاً في الجاهلية وإني خرجت مع رسول اللّه ذات يوم حتى مررنا على أخت خديجة وهي جالسة على أدم لها فنادتني فانصرفت إليها ووقف رسول اللّه فقالت أما لصاحبك في تزويج خديجة حاجة فأخبرته فقال: بلى لعمري فرجعت إليها فأخبرتها بما قال رسول اللّه قالت: اغد إلينا إذا أصبحت غداً فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا أبا خديجة حلة وضربوا عليه قبة فكلمت أخاها فكلم أباه فأخبر برسول اللّه ومكانه وسأله أن يزوجه فزوجه فصنعوا من البقرة طعاماً فأكلنا منه ونام أبوها ثم استيقظ فقال: ما هذه الحلة وهذه القبة وهذا الطعام؟ قالت له ابنته التي

---

(١) مسند أحمد - ح (٢٨٤٩).
(٢) مسند أحمد (١/ ٣١٢).

كلّمت عماراً: هذه الحلة كساكها محمد بن عبد اللَّه ختنك، وبقرة أهداها إليك فذبحناها حين زوجته خديجة، فأنكر أن يكون زوجه وخرج حتى جاء الحجر وخرجت بنو هاشم حتى جاؤوا، فقال: أين صاحبكم الذي تزعمون أني زوجته خديجة؟ فلما رأى رسول اللَّه ونظر إليه قال: إن كنت زوجته وإلا فقد زوجته.

قال البزّار: «وهذا الحديث لا نحفظه عن عمار بن ياسر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد»[١].

وقال الهيثمي تعليقاً على الحديث: «رواه الطبراني والبزار وفيه عمر بن أبي بكر المؤملي وهو متروك»[٢].

٣- ذكر **العسكري** في (الأوائل) بإسناده عن سعيد بن جبير قال: اجتمعت نساء قريش في عيد لهن فجاءهن يهودي فقال: يوشك أن يبعث فيكن نبي فأيتكن استطاعت أن تكون له أرضاً يطؤها فلتفعل، فشتمنه وطردنه، ووقر ذلك في صدر خديجة، وكانت استأجرت رسول اللَّه ﷺ وبعثته مع ميسرة غلامها إلى الشام، فبينما هي تنظر قدومهما نظرت رجلاً يطلع من عقبة المدينة وليس في السماء غيم إلا قدر ما يظله، وإذا هو النبي ﷺ فقالت: إنّ قول اليهودي حق والمبعوث محمد، فقالت له: اخطبني، فلقي عمه أبا طالب فقال: اخطب عليّ خديجة، قال: أخاف ألا يفعلوا أيم قريش وأنت يتيم قريش فقال اخطبها عليّ، فلقي أبو طالب أباها وقالوا: عمها، وهو الصحيح، فذكر له ذلك فلقيها فقال فلان يخطبك

(١) البحر الزخّار (٤/ ٢٥٠).
(٢) مجمع الزوائد (٩/ ١٦٢).

لشيخ من قريش، فقالت: شيخ قضى شبابه وساء خلقه لا حاجة لي فيه فقال لها: محمد، فقالت: أوسط قريش حسباً وأفصحهم لساناً، أعود عليه بمالي فيكون عطف يميني، فبعث إليه أن تعال نزوجك فاستنهض معه أبا طالب، فقال: أخاف ألا يفعلوا وإن ردوني كانت الفضيحة فتأخر وبعث معه حمزة، فمروا بعلي يلعب مع الصبيان فانطلق معهم فلما دخلوا قال النبي ﷺ: الحمد للَّه الحي الذي لا يموت. فقالوا: ما هذا الكلام؟ ثم تكلم بما أراد وأرادوا، فقالوا تكلمت ولكن من يضمن لنا المهر؟ فقال علي: أبي فلما بلغ الخبر أبا طالب جعل يقبل علياً ويقول بأبي أنت وأمي.

قالوا: والصحيح أنّ رسول اللَّه ﷺ كان يومئذ ابن خمس وعشرين سنة، ولو كان ذلك كذلك لكان لعلي يوم استشهد أكثر من سبعين سنة، ولم يقل هذا أحد. والغلط في أحد الأمرين. إما فيما رووه من كون علي معهم[(١)] أو فيما ذكروه من سن النبي يومئذ، وقد قيل: إنه كان يومئذ ابن ثلاثين سنة وقالوا: ابن خمس وثلاثين واللَّه أعلم بالصواب[(٢)].

قلت: ما ذكره العسكري رحمه الله في غلط الرواية حسن، كما أنّ في السند مجاهيل تُغنيك جهالتهم عن نقد الرواية، كما أنّ في تفاصيل القصة ما يخالف الصحيح من قصة زواج النبي ﷺ من خديجة رضي الله عنها.

وقد سبق ترجيح رواية الطبراني لصحة إسنادها.

(١) فإنّ علياً رضي الله عنه لم يكن مولوداً حين خطبة خديجة رضي الله عنها بلا ريب.
(٢) الأوائل للعسكري (١/٢٨).

عمرها حين تزوجها النبي ﷺ :

اختلف رواه الأخبار ومؤرخو السيرة في عمر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها عند زواجها من النبي ﷺ على أقوال عدة هي:

القول الأول: أنها كانت تبلغ من العمر خمساً وأربعين سنة:

وهو قول النووي[(١)] (٦٧٦هـ)، ونسبه ابن منظور في (مختصر تاريخ دمشق)[(٢)] للواقدي، مع أنّ المنقول عن الواقدي في (تاريخ دمشق)[(٣)] لابن عساكر، وهو أصل الكتاب، أنها كانت تبلغ الأربع والأربعين سنة، وهو أيضاً محل إشكال لمخالفته للثابت عن الواقدي.

القول الثاني وهو الأشهر: أنها كانت تبلغ من العمر أربعين سنة:

وهو المروي عن حكيم بن حزام[(٤)] رضي الله عنه، وهو قول الواقدي[(٥)] (٢٠٧هـ)،

---

(١) قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٢): «ثم تزوجها رسول الله ﷺ ولها يومئذ خمس وأربعون سنة، وقيل: ثمان وعشرون، وقيل: أربعون».

(٢) قال في مختصر تاريخ دمشق (٢/ ٢٧٥): «وقال الواقدي: إنها كانت لما تزوجها رسول اللّه ﷺ بنت خمس وأربعين سنة».

(٣) تاريخ دمشق (٣/ ١٩٠) حيث نقل عن الواقدي قوله: «أجمع أصحابنا أن أول امرأة تزوجت النبي ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ورسول اللّه ﷺ يومئذ ابن خمس وعشرين سنة وهي يومئذ بنت أربع وأربعين سنة».

(٤) تاريخ دمشق (٣/ ١٩٤)، والبداية والنهاية (٨/ ٢٠٤).

(٥) قال الواقدي كما في الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٧): «ونحن نقول ومن عندنا من أهل العلم: إنّ خديجة ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وإنها كانت يوم تزوّجها رسول اللّه ﷺ، بنت أربعين سنة».

وقد نقل في هذا عدة روايات[(١)]، والبلاذري[(٢)] (٢٧٩هـ) والطبري[(٣)] (٣١٠هـ) وابن عبد البر[(٤)] (٤٦٣هـ) وابن الأثير[(٥)] (٦٣٠هـ) والذهبي[(٦)] (٧٤٨هـ) ومُغلطاي[(٧)] (٧٦٢هـ) وابن جماعة[(٨)] (٧٦٧هـ) وابن الهائم[(٩)] (٧٩٨هـ) والمقريزي[(١٠)] (٨٤٥هـ) والقسطلاني[(١١)] (٩٢٣هـ) وابن العماد الحنبلي[(١٢)] (١٠٨٩هـ) والحلبي[(١٣)] (١٠٤٤هـ).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٨/ ١٠١) عن الواقدي: «أسند من طرق أنها حين تزويجها به كانت بنت أربعين سنة».

(٢) قال في أنساب الأشراف (١/ ٢٤٤): «وتزوج رسول الله ﷺ خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي ابنة أربعين سنة، وذلك الثَّبت عن العلماء».

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٠).

(٤) قال في الاستيعاب (٤/ ١٨١٨): «وكانت إذ تزوجها رسول اللَّه ﷺ بنت أربعين سنة، فأقامت معه ﷺ أربعاً وعشرين سنة، وتوفيت وهي بنت أربع وستين سنة وستة أشهر».

(٥) قال في أسد الغابة (٧/ ٧٦): «وكان عمرها حينئذ أربعين سنة وأقامت معه أربعاً وعشرين سنة».

(٦) قال في سير أعلام النبلاء (٢/ ١١١): (فبنى بها وله خمسٌ وعشرون سنة. وكانت أسنَّ منه بخمس عشرة سنة).

(٧) قال في الإشارة إلى سيرة المصطفى (ص٨٢): «وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة، وقيل: خمس وأربعين، وقيل: ثلاثين، وقيل: ثمانٍ وعشرين».

(٨) قال في المختصر الصغير (ص٣٩): «وكان سنها أربعين سنة، وقيل غير ذلك».

(٩) قاله في الغرر المُضية، ونقله عنه الصالحي في سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٦٦).

(١٠) قال في إمتاع الأسماع (١/ ١٠): «ولها من العمر أربعون سنة وعمره خمس وعشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون، والأول أثبت».

(١١) قال في المواهب اللدنية (١/ ١٩١): «وكان لها حين تزويجها بالنبي ﷺ من العمر أربعون سنة وبعض أخرى».

(١٢) قال في شذرات الذهب (١/ ١٣٤): «وتزوج خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي بنت أربعين على الصحيح فيهما».

(١٣) قال في السيرة الحلبية (١/ ٢٢٩): «وتزوجها رسول اللَّه ﷺ وهي يومئذ بنت أربعين =

القول الثالث: أنها كانت تبلغ من العمر ثلاثين سنة:

وهو قول الزبير بن بكار[١] (٢٥٦هـ).

القول الرابع: أنها كانت تبلغ من العمر ثمانية وعشرين سنة:

وهو المروي عن ابن عباس[٢] رضي الله عنهما وقول إمام المغازي ابن إسحاق[٣] (١٥١هـ) والحاكم[٤] (٤٠٥هـ).

وعزاه ابن العماد الحنبلي إلى جمع كبير من أهل العلم، فقال: (ورجّح كثيرون أنها ابنة ثمان وعشرين»[٥].

القول الخامس: أنها كانت تبلغ من العمر خمساً وعشرين سنة:

وهو قول مصعب الزبيري[٦] (٢٣٦هـ) والبيهقي[٧] (٤٥٨هـ).

= سنة، قال: وقيل: خمس وأربعين سنة، وقيل: ثلاثين، وقيل: ثمان وعشرين، وقيل: خمس وثلاثين، وقيل: خمس وعشرين».

(١) تاريخ دمشق (٣/ ١٩١).

(٢) تاريخ دمشق (٣/ ١٩٣)، والبداية والنهاية (٨/ ٢٠٤).

(٣) أسنده الحاكم إليه في المستدرك (٣/ ٢٠٠ - ح ٤٨٣٧)، ونص كلامه هو: «وكان لها يوم تزوَّجها ثمانٌ وعِشرون سنة».

(٤) روى الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠٠ - ح ٤٨٣٧) عن هاشم بن عروة قال: «تُوفيت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهي ابنة خمس وستين سنة»، قال الحاكم: «هذا قول شاذ، فإنّ الذي عندي أنها لم تبلغ ستين سنة».

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٤٤٦): «... وهكذا نقل البيهقي عن الحاكم أنه كان عمر رسول اللَّه ﷺ حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة، وكان عمرها إذ ذاك خمساً وثلاثين، وقيل: خمساً وعشرين سنة».

(٥) شذرات الذهب (١/ ١٣٤).

(٦) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٧٠).

(٧) المصدر السابق.

وقيل: ستٌ وأربعون[١] **وقيل: خمس وثلاثون**[٢].

وقد يُقال إنّ قول أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشِّدقين»[٣] قد يكون حاسماً في المسألة إذ وصفتها بكبر السن وتساقط الأسنان، فيكون القول بأنها ناهزت الأربعين في بداية زواجها وتوفيت وهي بنت خمس وستين هو أقرب الأقوال مطلقاً.

ويمكن دفع ذلك بأنّ ما وقع من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في هذا الصدد إنما هو بدافع الغيرة والتشنيع على الضرة فلا يركن إليه.

على أنّ القدماء كانوا يرون المرأة ابنة الخمسين عجوزاً طاعنة في السن.

وقد روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا قوله: «من تزوج بنت عشر تسر الناظرين، ومن تزوج ابنة عشرين لذة للمعانقين، وبنت ثلاثين تمسن وتلين، ومن تزوج ابنة أربعين ذات بنات وبنين، ومن تزوج ابنة خمسين عجوز في الغابرين»[٤].

وقد رجَّح د. **أكرم ضياء العمري** القول بأنها من العمر ثمانٍ وعشرين سنة إذ يقول: «وقد أنجبت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَكرين وأربع إناث، مما يُرجِّح رواية ابن إسحاق (أي أنها في الثامنة والعشرين)، فالغالب أنّ المرأة تبلغ سنّ اليأس من الإنجاب قبل الخمسين. ورغم أنّ هذه المعلومات لم تثبت حديثياً إلا أنها مشتهرة عند الإخباريين»[٥].

---

(١) أنساب الأشراف (١/ ٢٤٤).
(٢) السيرة الحلبية (١/ ٢٠٤).
(٣) رواه البخاري في صحيحه - ح (٣٨٢١) ومسلم في صحيحه - ح (٢٤٣٧)
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٦/ ٢١٣).
(٥) السيرة النبوية الصحيحة (١/ ١١٣).

على أنّ **الزبير بن بكار (٢٥٦هـ)** قد قال في ترجمة «هند بنت أبي عبيدة بن عبد اللَّه بن زمعة» ما نصه: «حملت بموسى بن عبد اللَّه بن حسن بن حسن بعد ستين سنة، وسمعت علماءنا يقولون: لا تحمل امرأة بعد ستين سنة إلا من قريش، ولا بعد خمسين إلا عربية»[(١)].

لكن هذا بعيد جداً، والنادر لا حُكم له، كما أنّ الأرحام لا تعرف فرقاً بين العروبة وغيرها فضلًا عن القرشية.

فلعل الأقرب إلى النفس ما ذهب إليه القائلون بأنّ عمرها يوم زواجها من رسول اللَّه ﷺ ثمانياً وعشرين سنة، واللَّه أعلم.

في بيت الزوجية

كانت خديجة رضي الله عنها تتفانى في طاعة زوجها محمد ﷺ وخدمته، وتهيئة أسباب الراحة له، تتولى خدمته ﷺ بنفسها، ولا تكلف أحداً غيرها بذلك، يدلك على هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي يقول فيه: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ»[(٢)].

وهكذا يكون الجزاء من جنس العمل . . . حفظت لزوجها ﷺ الهدوء والطمأنينة في البيت فجوزيت في الآخرة ببيت لا صخب فيه ولا نصب.

قال **السهيلي (٥٨١هـ)**: «لِأَنَّهُ عليه السلام دَعَاهَا إِلَى الْإِيمَانِ فَأَجَابَتْهُ عَفْواً، لَمْ

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه - ح (٣٨٢٠)، ومسلم في صحيحه - ح (٢٤٣٢).

تُحوِجْهُ إِلَى أَنْ يَصْخَبَ كَمَا يَصْخَبُ الْبَعْلُ إِذَا تَعَصّتْ عَلَيْهِ حَلِيلَتُهُ، وَلَا أَنْ يَنْصِبَ بَلْ أَزَالَتْ عَنْهُ كُلّ نَصَبٍ وَآنَسَتْهُ مِنْ كُلّ وَحْشَةٍ وَهَوّنَتْ عَلَيْهِ كُلّ مَكْرُوهٍ وَأَرَاحَتْهُ بِمَا لَهَا مِنْ كُلّ كَدّ وَنَصَبٍ فَوَصَفَ مَنْزِلَهَا الّذِي بُشّرَتْ بِهِ بِالصّفّةِ الْمُقَابِلَةِ لِفَعَالِهَا وَصُورَتِهِ»[1].

لم يكن بيتها الذي ضمَّ أطفالًا عدة، بذاك البيت الذي يملّه الزوج لصخبه ونصبه!

لقد كانت رضي الله عنها أماً لأبنائها منه ﷺ، ومن زوجيها . . . وأيَّ أم!

بل كانت أمًّا لعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة رضي الله عنهما، وهما إلى جانب ابنها هند بن أبي هالة رضي الله عنه أربِاء[2] النبي ﷺ، يعيشون في بيته، وينتهلون من علمه وتربيته، وكانت هي تحنو عليهم وتقوم بحاجتهم جميعاً.

فأما هند بن أبي هالة رضي الله عنه فسنذكره من جملة أولادها.

وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فَأَخَذَه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من عمه أبي طالب لمّا أصابت قريشاً أزمة شديدة، وكان أبو طالب كثير العيال، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ عَمِّه رضي الله عنه -وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ-: يَا عَبَّاسُ، إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ، فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ، فَلْنُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ، آخُذُ مِنْ بَنِيهِ رَجُلًا، وَتَأْخُذُ أَنْتَ رَجُلًا،

(١) الروض الأنف (٢/ ٢٧٧).

(٢) أرباء: جمع ربيب، قال القاسم بن سلّام (٢٤٤هـ) في (غريب الحديث ٤/ ٤٢٠): «إِنَّمَا الرَّبيب ابْن امرأةِ الرجل فَهُوَ رَبيبٌ لزوجهَا وزوجُها المَرْبُوب لَهُ، وَإِنَّمَا قيل لَهُ رابٌّ لأنّه يَرُبُّه ويُرَبِّيه وَهُوَ الْغذَاء والتربية وَابْن الْمَرْأَة هُوَ المَرْبُوب فَلهَذَا قيل: رَبيب كَمَا يُقَال للمَقْتول: قَتيل وللمجروح: جَريح، وَكَانَ عُمر بن أبي سَلَمة يُسَمي رَبيبَ النَّبِيّ ﷺ».

فَنَكِلُهُمَا عَنْهُ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: نَعَمْ. فَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا أَبَا طَالِبٍ، فَقَالَا لَهُ: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفِّفَ عَنْكَ مِنْ عِيَالِكَ حَتَّى يَنْكَشِفَ عَنْ النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ، فَقَالَ لَهُمَا أَبُو طَالِبٍ: إِذَا تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلًا فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا، فضمّ النبي ﷺ إليه علياً، وضمَّ العباس إليه جعفراً[(١)].

وأما زيد بن حارثة رضي الله عنه، فقد سُبي في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام من سوق حباشة[(٢)]، فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهي يومئذ عند رسول اللَّه ﷺ، فقال لها: اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك. فاختارت زيداً فأخذته، فرآه رسول اللَّه ﷺ عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول اللَّه ﷺ وتبناه، وذلك قبل أن يُوحى إليه[(٣)].

قال **الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ)**: «ومن طواعيتها-أي خديجة رضي الله عنها- له قبل البعثة أنها رأت ميله إلى زيد بن حارثة بعد أن صار في ملكها، فوهبته له ﷺ، فكانت هي السبب فيما امتاز به زيد من السبق إلى الإسلام، حتى قيل: إنه أول من أسلم مطلقاً»[(٤)].

وقد ابتليت خديجة رضي الله عنها بفقد ابنيها من رسول اللَّه ﷺ (القاسم، وعبد اللَّه)، فصبرت ورضيت بقضاء اللَّه تعالى وقدره، كما صبرت على مشاق الحياة، وعلى الشدائد التي واجهها زوجها ﷺ في بدايات الدعوة-كما سيأتي-.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٦).

(٢) وهي سوق بناحية مكة كانت مجمعاً للعرب يتسوقون بها في كل سنة، وفي (الطبقات الكبرى لابن سعد) أنه اشتراه من سوق عكاظ، وعند ابن هشام في السيرة أنه - حكيم بن حزام - قدم به من الشام مع رقيق اشتراه من هناك.

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ١٦٣).

(٤) الإصابة (٨/ ١٠٢).

ومن الطبيعي أن تبلغها شماتة العاص بن وائل برسول اللَّه ﷺ ووصفه إياه بالأبتر، إذ لا يبقى له ذكر، يحيي ذكره من بعده، فيثقل عليها ذلك تأثراً بهذه المقالة الشنيعة تجاه مصابها، ويثقل عليها أن يُعيّر زوجها بذلك، فيُتخذ الابتلاء مجالاً للسخرية والتعيير من شرار الخلق وأسافلهم(١).

عبادتها:

كانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قريبة من رسول اللَّه ﷺ في كل شيء، تتابعه وتقتدي به، تسمع منه وتحفظ له، وتعيش دعوته بأحاسيسها يوماً بيوم.

لم تذكر كتب السيرة شيئاً عن تفاصيل عبادتها وتنسكها، لكنها اكتفت بذِكر تعليم النبي ﷺ لها الطهارة والصلاة، والطواف.

ذكر ابن إسحاق في (السير) أنّ الصلاة حين افتُرضت على رسول اللَّه ﷺ أتاه جبريلُ وهو بأعلى مكة، فهَمَز له بِعَقِبِه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عينٌ؛ فتوضَّأ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورسول اللَّه ﷺ ينظر إليه، ليُريه كيف الطهور للصلاة، ثمَّ توضأ رسول اللَّه ﷺ كما رأى جبريل توضأ. ثمَّ قام به جبريل فصلّى به، وصلّى رسول اللَّه ﷺ بصلاته، ثمَّ انصرف جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فجاء رسول اللَّه ﷺ خديجة، فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأتْ كما توضأ لها رسول اللَّه ﷺ، ثم صلّى بها رسول اللَّه

---

(١) روى البيهقي في (البعث والنشور ص١١٥) عن يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ-مولى آل الزبير بن العوام- قَالَ: كَانَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ إِذَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ دَعُوهُ إِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا عَقِبَ لَهُ وَقَدْ هَلَكَ قَدِ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ وَاسْتَرَحْتُمْ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، حَتَّى قَضَى السُّورَةَ، أَيْ: قَدْ أَعْطَيْتُكَ الْكَوْثَرَ هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا.

ﷺ كما صلّى به جبريل، فصلَّت بصلاته[(١)].

وقد علّق **السهيلي (٥٨١هـ)** على هذا بقوله: (وهذا الحديث مقطوع في (السيرة)، ومثله لا يكون أصلًا في الأحكام الشرعية، ولكنه قد روي مسنداً إلى زيد بن حارثة - يرفعه - غير أنّ هذا الحديث المسند يدور على عبد الله ابن لهيعة وقد ضُعِّف، ولم يخرِّج عنه مسلم ولا البخاري؛ لأنه يُقال: إن كتبه احترقت، فكان يحدث من حفظه) إلى أن قال: (فالوضوء على هذا الحديث مكِّيٌّ بالفرض، مدنيٌّ بالتلاوة، لأنّ آية الوضوء مدنية، وإنما قالت عائشة: فأنزل اللَه تعالى آية التيمم، ولم تقل: آية الوضوء، وهي هي؛ لأنّ الوضوء قد كان مفروضاً قبل، غير أنه لم يكن قرآناً يُتلى، حتى نزلت آية المائدة)[(٢)].

وروى الحافظ البيهقي في «شعب الإيمان» عن عبد الأعلى التيمي أنه قال: قالت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها: يا رسول اللَّه! ما أقول وأنا أطوف بالبيت؟ قال: «قولي: اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي وعمدي وإسرافي في أمري، إنك إن لا تغفر لي تُهلكني» ثم قال البيهقي: هكذا جاء مرسلًا[(٣)].

أولادها من رسول اللَّه ﷺ

أما أولادها من النبي ﷺ فهم: «القاسم، وعبد اللَّه، ماتا رضيعَيْن، وزينب ورُقية وأم كُلْثوم، وفاطمة».

قال **الحافظ ابن الأثير (٦٣٠هـ)**: «مات القاسم بمكة وهو أول من مات

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٤٤).
(٢) الروض الأنف (٢/ ٢٨٦ - ٢٨٧).
(٣) الجامع لشعب الإيمان (٦/ ٤٩٠ - ٤٩١ - ح ٣٧٣٥).

من ولده، ثم عبد اللَّه»[١].

وقال **الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ)**: «كان جميع أولاد النبي ﷺ من خديجة إلا إبراهيم فإنه كان من جاريته مارية، والمتفق عليه من أولاده منها: القاسم وبه كان يُكنى، مات صغيراً قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، وقيل: كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة، وعبد اللَّه ولد بعد المبعث فكان يُقال له: الطاهر والطيب[٢] ويقال: هما أخوان له، وماتت الذكور صغاراً باتفاق»[٣].

أما بناته ﷺ فهاك شيئاً من أخبارهم:

١- زينب رضي الله عنها

قال **الإمام ابن عبد البر (٤٦٣هـ)**: «كانت زينب أكبر بناته ﷺ لا خلاف أعلمه في ذلك، إلا ما لا يصح ولا يلتفت إليه، وإنما الاختلاف بين زينب والقاسم أيهما ولد له ﷺ أولاً»[٤].

تزوجها في حياة أمها ابن خالتها أبو العاص؛ فولدت له: علياً وأمامة. وأسلمت زينب، وهاجرت حين أبى زوجها أبو العاص بن الربيع أن يسلم، وذلك قبل إسلامه بست سنين[٥].

وتوفيت زينب بنت رسول اللَّه ﷺ في حياة رسول اللَّه ﷺ سنة ثمان من

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٤٣٦).
(٢) قال ابن سعد في طبقاته (٨/ ١٦): (سُمي بذلك لأنه ولد في الاسلام).
(٣) فتح الباري (٧/ ١٠٣).
(٤) الاستيعاب (٤/ ١٨٥٤).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٤٦).

الهجرة، وكان سبب موتها أنها لما خرجت من مكة إلى رسول اللَّه ﷺ عمد لها هبار ابن الأسود[(١)] ورجل آخر فدفعها أحدهما فيما ذكروا فسقطت على صخرة فأسقطت وأهراقت الدماء فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت سنة ثمان من الهجرة وكان زوجها محباً لها.

وفيها قال أبو العاص ابن الربيع في بعض أسفاره إلى الشام:

ذكرتُ زينبَ لمَّا وَرَّكَتْ إِرَماً فقلتُ سُقْياً لشخص يسكنُ الحَرَمَا

بنتُ الأمينِ جزاها اللَّهُ صالحةً وكلُّ بَعْلٍ سُيثْنِي بالذي عَلِمَا[(٢)]

٢- رقية رضي الله عنها

ولدت رقية بنت رسول اللَّه ﷺ ورسول اللَّه ﷺ ابن ثلاث وثلاثين سنة[(٣)].

تزوجها عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل الهجرة النبوية، فلما أنزل اللَّه تعالى قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قال له أبوه أبو لهب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته، ففارقها، ولم يكن دخل بها[(٤)].

---

(١) هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي وهو الذي عرض لزينب بنت رسول اللَّه ﷺ في سفهاء من قريش حين بعث بها أبو العاص زوجها إلى المدينة فأهوى إليها هبار هذا ونخس بها فألقت ذا بطنها، فقال رسول اللَّه ﷺ: «إن وجدتم هباراً فأحرقوه بالنار». ثم قال: «اقتلوه فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار». فلم يوجد ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه وصحب النبي ﷺ. وذكر الزبير أنه لما أسلم وقدم مهاجراً جعلوا يسبونه فذكر ذلك لرسول اللَّه ﷺ فقال: «سب من سبك». فانتهوا عنه. الاستيعاب (٤/ ١٥٣٦).

(٢) الطبقات الكبرى (٨/ ٣٢) بتصرف.

(٣) الاستيعاب (٤/ ١٨٣٩).

(٤) ذكره ابن سعد في الطبقات (٨/ ٣٦) لكنه وهم فقال: تزوجها عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل النبوة، وقد استدرك على كلامه هذا الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٥١) فقال: كذا قال، وصوابه: قبل الهجرة). =

أسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد وبايعت رسول اللَّه ﷺ هي وأخواتها حين بايعه النساء وتزوجها عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً. قال رسول اللَّه ﷺ: «إنهما لأول من هاجر إلى اللَّه تبارك وتعالى بعد لوط»[(١)]، وكانت في الهجرة الأولى قد أسقطت من عثمان ولداً ثم ولدت له بعد ذلك ابنا فسماه عبد اللَّه، وكان عثمان يكنى به في الإسلام وبلغ سنه سنتين فنقره ديك في وجهه فطمر وجهه فمات ولم تلد له شيئاً بعد ذلك، وهاجرت إلى المدينة بعد زوجها عثمان حين هاجر رسول اللَّه ومرضت ورسول اللَّه يتجهز إلى بدر فخلف عليها رسول اللَّه ﷺ عثمان بن عفان فتوفيت ورسول اللَّه ببدر في شهر رمضان على رأس سبعة عشر شهراً من مهاجر رسول اللَّه، وقدم زيد ابن حارثة من بدر

= وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة «أم كلثوم رضي الله عنها» في كتابه «الإصابة» نقلًا عن بعض المؤرخين قولهم: (كان عتبة وعتيبة ابنا أبي لهب تزوجا رقية وأم كلثوم ابنتي رسول اللَّه ﷺ فلما نزلت ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ قال أبو لهب لابنيه: رأسي بين رؤسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد، وقالت لهما أمهما حمالة الحطب: إنّ رقية وأم كلثوم صبتا فطلقاهما، فطلقاهما قبل الدخول.

قلت- الكلام لابن حجر-: وهذا أولى مما ذكر أبو عمر تبعاً لابن سعد أنّ ولدي أبي لهب تزوجا رقية وأم كلثوم قبل البعثة فإنه فيه نظر لأن أبا عمر نقل الاتفاق على أنّ زينب أكبر البنات وتقدم في ترجمتها أنها ولدت قبل البعثة بعشر سنين فإذا كانت أكبرهن بهذه السن فكيف تزوج من هو أصغر منها نعم إن ثبت ذلك يكون عقد نكاح إلى حين يحصل التأهل فكأن الفراق وقع قبل ذلك).

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧) بلفظ: (يا أبا بكر، إنهما لأول من هاجر بعد لوط وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام)، والحديث من طريق الواقدي، وقد ضعفه الشيخ مقبل الوادعي في تعليقه على المستدرك (٤/ ١٣٤) وقال: الواقدي كذّاب، والراوي عنه ضعيف، وله شاهد عند الطبراني في الكبير (٥/ ١٣٩) بلفظ: ما كان بين عثمان ورقية ولوط من مهاجر. لكن قال الهيثمي: فيه عثمان بن خالد وهو متروك (٨/ ٣٨٧).

بشيرا فدخل المدينة حين سوي التراب على رقية بنت رسول اللَّه ﷺ[(١)].

٣- أم كلثوم رضي الله عنها

وهي ممن عرف بكنيته ولم يعرف اسمه، وهي أكبر سناً من فاطمة[(٢)].

تزوجها عتيبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل النبوة فلما بعث رسول اللَّه ﷺ وأنزل اللَّه ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾قال له أبوه أبو لهب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته ففارقها ولم يكن دخل بها فلم تزل بمكة مع رسول اللَّه ﷺ وأسلمت حين أسلمت أمها وبايعت رسول اللَّه ﷺ مع أخواتها حين بايعه النساء وهاجرت إلى المدينة حين هاجر رسول اللَّه ﷺ وخرجت مع عيال رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة فلم تزل بها فلما توفيت رقية بنت رسول اللَّه ﷺ خلف عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول اللَّه ﷺ وكانت بكراً وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة وأدخلت عليه في هذه السنة في جمادى الآخرة فلم تزل عنده إلى أن ماتت ولم تلد له شيئاً وماتت في شعبان سنة تسع من الهجرة فقال رسول اللَّه ﷺ: «لو كن عشراً لزوجتهن عثمان»[(٣)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «لو كن عشراً لزوجتهن عثمان» هو جزء من حديث رواه الطبراني بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وقف رسول ﷺ على قبر ابنته الثانية التي كانت عند عثمان فقال: «ألا أبا أَيِّم، أَلا أَخَا أَيِّم تزوجها عثمان، فلو كُنَّ عَشْراً لَزَوَّجْتُهُنَّ عثمان، وما زوجته إلا بوحي من

---

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ٣٦-٣٧).

(٢) ذخائر العقبى (ص١٦٤).

(٣) الطبقات الكبرى (٨/ ٣٧).

السماء» وأنّ رسول اللَّه ﷺ لقي عثمان عند باب المسجد فقال: «يا عثمان، هذا جبريل يخبرني أنّ اللَّه عز وجل قد زوّجك أم كلثوم على مثل صداق رُقية وعلى مثل صحبتها»[(١)].

والرواية محل نظر، فإنّ في السند (أبا مروان محمد بن عثمان بن خالد العثماني عن أبيه)، وقد قال عنه الإمام صالح جَزَرَةُ: هو ثقة، صَدُوْقٌ، إلا أنه يروي عن أبيه المناكير[(٢)].

والحال أنّ العبارة المذكورة لم ترد في حديث مسند صحيح عن النبي ﷺ يمكن الركون إليه، واللَّه أعلم.

٤- فاطمة رضي الله عنها

سيدة نساء العالمين على أبيها وعليها السلام كانت هي وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول اللَّه ﷺ واختلف في الصغرى منهما، والصحيح أنها أصغر بنات النبي ﷺ.

كان مولدها قبل المبعث بقليل.

وقد تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذي القعدة، أو قُبيله، من سنة اثنتين بعد وقعة بدر.

وقال ابن عبد البر: دخل بها بعد وقعة أحد[(٣)].

فولدت له الحسن، والحسين، وأم كلثوم، وزينب.

---

(١) المعجم الكبير (٢٢/ ٤٣٦-٤٣٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٤١).
(٣) الاستيعاب (٤/ ١٨٩٣).

وهي أول أهل بيت النبي ﷺ لحوقاً به ﷺ، فقد ثبت في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «دعا النبي ﷺ فاطمة في شكواه الذي قُبض فيه، فسارَّها بشيء فبَكت، ثم دعاها فسارَّها بشيء فضحكت، فسألنا عن ذلك، فقالت: سارَّني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي تُوفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت»[(١)].

أولادها من غير رسول اللَّه ﷺ

وأما أولادها من غير رسول اللَّه ﷺ فهم:

١- هند بن أبي هالة رضي الله عنه

وهو ربيب رسول اللَّه ﷺ أمه خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ وأخواته لأمه: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليهن السلام.

وكان أبوه حليف بني عبد الدار، شهد هند بن أبي هالة بدراً وقيل: بل شهد أحداً، وقتل هند بن أبي هالة مع علي يوم الجمل، وقتل ابنه هند بن هند بن أبي هالة مع مصعب بن الزبير، وقيل: إنّ هند بن هند بن أبي هالة مات بالبصرة وانقرض عقبه فلا عقب لهم[(٢)].

وكان هند بن أبي هالة فصيحاً بليغاً وصّافاً، وصف رسول اللَّه ﷺ فأحسن وأتقن. وقد شرح أبو عبيدة وابن قتيبة وصفه ذلك لما فيه من الفصاحة وفوائد اللغة. وقد روى عنه أهل البصرة حديثاً واحداً ثم ذكر ابن عبد البر إسناده إلى هند بن خديجة زوج النبي ﷺ قال: مر النبي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - ح (٤٤٣٣).

(٢) أسد الغابة (٥/ ٧١).

ﷺ بالحكم أبي مروان بن الحكم فجعل يغمزه فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: «اللّهم اجعل به وزغاً»[١]. فرجف مكانه، والوزغ: الارتعاش[٢].

وقال عنه الحافظ ابن حجر: «روى عن النبي ﷺ صفته وحليته[٣] وعنه الحسن والحسين وابن عباس وابنه هند بن هند، وفي حديثه من لا يعرف»[٤].

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٤٠) وابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ١٥٤٦)، والخطابي في غريب الحديث (١/ ٥٤٢ - ٥٤٣) وضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٣/ ٨٢٦) بسبب الإرسال أو الانقطاع. فراجعه.

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٥٤٦).

(٣) حديث وصف النبي ﷺ المشار إليه آنفاً هو حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصّافاً عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال: «كان رسول اللّه ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيقته فرقها وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك، سواء البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف أو قال: شائل الأطراف، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا، يخطو تكفيا، ويمشي هونا، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف نظره إلى الأرض، أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدر من لقي بالسلام..» إلى آخر الحديث.
والحديث وإن كان عظيم المعاني إلا أنه «ضعيف جداً» كما أشار إلى ذلك الشيخ الألباني رحمه الله في (مختصر الشمائل ١/ ٢٠).

(٤) تهذيب التهذيب (١١/ ٦٣).

٢- الحارث بن أبي هالة رضي الله عنه

ذكر ابن الكلبيّ وابن حزم أنه أول من قتل في سبيل اللَّه تحت الركن اليماني[١].

قال **البلاذري** في (أنساب الأشراف): حَدَّثَنِي عَبَّاس بْن هِشَام الكلبي عن أَبِيهِ عن جَدّه أنّ الحارث بْن أَبِي هالة، هند بْن النباش، كَانَ فِي حجر خديجة بِنْت خويلد فأسلم وكان يظهر إسلامه، وينادي بِهِ فجلس يوماً فِي جماعة من قريش وغيرها، فذكروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما كرهه، فغضب ووقع بينه وبين رَجُل من سفهائهم شرٌّ، فوثب بِهِ فلم يزل يطأ فِي بطنه حتَّى حُمِل وقيذاً فمات، قَالَ هشام: وَيُقَال إنه صلى عند الركن، فوثب بِهِ بعض السفهاء فقتله[٢].

وقال **المقريزي** في (إمتاع الأسماع): «صلى عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت الركن اليماني، وقتل قاتله صفوان بن مالك بن صفوان بن غذي بن الأخرس بن الحارث بن جردة، فكان صفوان أول قاتل قتل في اللَّه بعد الهجرة»[٣].

وروي عن عثمان بن مظعون قوله: **أول وصية أوصانا رسول اللَّه** صلى الله عليه وآله وسلم، مقتل الحارث بن أبي هالة، ونحن أربعون ليس بمكة أحد على مثل ما نحن عليه، فقال: أوصيكم بتقوى اللَّه، فإن تقوى اللَّه خير ما عمل به الناس، وخير عاقبة، وبتقوى اللَّه أصيب خير منازل الدنيا والآخرة، والتقوى رأس كل حكم، وجماع كل أمر، وباب كل خير، وفي تقوى اللَّه عصمة من كل سوء، ونجاة من كل شبهة، لا ترضون إلا بعمل، ولا تسخطوا

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٦٩٦).

(٢) أنساب الأشراف (١٣/ ٦٥).

(٣) إمتاع الأسماع (٦/ ٢٩٧).

إلا بعلم، فإنّ الرضا والسخط يدعو إلى العمل، وإن العمل بالعلم ليس كالعمل بالجهل، وقولوا آمنا باللَّه ثم استقيموا، فإن اللَّه تعالى إذا أراد أمراً أصابه، وإذا كره أمراً أخره، ولا تستعجلوا الأقدار فيصرعكم البلاء، واصبروا يتوكل اللَّه تعالى بحفظكم، ويخلفني فيكم[(١)].

٣- هالة بن أبي هالة

أخو هند بن أبي هالة المتقدم، ذكر الإمام الطبري في (المنتخب) أنه لم يدرك الإسلام بخلاف أخيه هند[(٢)].

بينما يذكر الإمام ابن عبد البر في (الاستيعاب) أنّ (له صحبة، روى عنه ابنه هند)[(٣)].

٤- هند بنت عتيق رضي الله عنها

تزوجها صيفي بن أمية بن عابد بن عبد اللَّه وهو ابن عمّها فولدت له محمداً[(٤)]، ويقال لبني محمد هذا «بنو الطاهرة» لمكان خديجة، وكان له بقية بالمدينة وعقب فانقرضوا وكانت خديجة تدعى «أم هند»[(٥)].

وقال الدارقطني: أسلمت وتزوجت ولم ترو عنه شيئاً[(٦)].

* * *

(١) إمتاع الأسماع (٩/ ٩١).
(٢) المنتخب من ذيل المذيل (ص٤٠).
(٣) الاستيعاب (٢/ ٧٧٥).
(٤) انظر أيضاً: أنساب الأشراف (٢/ ٥٣٨).
(٥) انظر: الطبقات الكبرى (٨/ ١٤-١٥).
(٦) الإصابة (٨/ ٣٤٧) وعزاه للدارقطني في (الأخوة).

إني رُزقت حُبها

إنك لا تستطيع أن تصنع من العجين قلباً حياً نابضاً بالحب، ذلك لأنّ الحب مفطور من خالقه -جل في علاه- على أن لا يودع إلا في وعاء تولَّد فيه ورتع.

«اللَّهُمّ هذا قسْمِي فيما أمْلِكُ، فلا تلُمْنِي فيما تمْلِكُ ولا أملكُ»[1]، عبارات قالها محمد ﷺ عن قلبه. ومن يملك قلبه ويتحكم به إذا طرقه الحب؟!

لقد أضاف لنا محمد ﷺ معنىً جليلًا لم نكن نعرفه في الحب . . . فالحب الذي يحكيه لنا حبٌّ تولد من حياة زوجية، لا يتجمل فيها المرء لطرفه الآخر على حساب واقعه، مخفياً عيوبه ونقائصه وأسراره وخباياه

---

(١) وهو حديث عائشة رضي الله عنها: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقْسِمُ فيعدِلُ، ويقولُ: «اللَّهُمّ هذا قسْمِي فيما أمْلِكُ، فلا تلُمْنِي فيما تمْلِكُ ولا أملكُ» قال أبو داود: يعني القلب.

والحديث أخرجه أبو داود (٢١٣٤) والنسائي (٢/ ١٥٧) وفي «الكبرى» (ق ٦٩/ ٢) والترمذي (١/ ٢١٣) والدارمي (٢/ ١٤٤) وابن ماجه (١٩٧١) وابن حبان (١٣٠٥) والحاكم (٢/ ١٨٧) والبيهقي (٧/ ٢٩٨) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٦٦/ ١) من طرق عن حماد ابن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد اللَّه بن يزيد عن عائشة به.

وقال الألباني في (ضعيف سنن أبي داود- الأم ٢/ ٢٢٢): «وهذا إسناد ظاهره الصحة؛ ولذلك صححه الحاكم والذهبي وابن كثير، لكنّ حماداً- وهو: ابن سلمة- فيه كلام في روايته عن غير ثابت؛ فكيف وقد خالفه ثقتان كل منهما أضبط منه؟! ولذلك أعله الأئمة بالإرسال؛ كما شرحته في «الإرواء» (٢٠١٨)، وقد لخصت لك زبدته آنفاً».

والحديث وإن لم يكن في حق خديجة رضي الله عنها لأنه كان بعدها بزمن طويل إلا أنه يُعبر عن المضمون الذي أردنا الإشارة إليه.

خلف ساترٍ من العبارات المنمّقة والكلام المعسول، بل يكون مكشوفاً له، بحلوه ومُرّه.

إنه الحب الحقيقي المبني على المكاشفة والصراحة، لا الحب الذي سمعنا أنه يسبق الزواج[١] ثم لا يلبث -في أغلب أحيانه- أن يموت صريعاً أمام أمواج المكاشفات الزوجية العاتية[٢].

لقد سمعنا -ولو من باب التندر- أناساً يرون الحياة الزوجية نقمة وعذاباً أو

(١) لقد عبث الممثلون والممثلات بعقول شبابنا حين سوّقوا في أفلامهم ومسلسلاتهم للحب قبل الزواج، وأوهموهم أنهم يعرفون الحب حق المعرفة، وأنهم يجيدون لغته وفكَّ عباراته، وأنّ لديهم القدرة على تجسيده في أقوالهم وأفعالهم.

هكذا روّجوا لباطلهم، وراهنوا على عقول من لا يعقل، وتناسوا أنهم إنما يتكلمون في أفلامهم ومسلسلاتهم عن رومانسية كاذبة خاطئة، لا تُعرف إلا أمام شاشة الكاميرا الضيقة التي يقفون أمامها، ثم يتركونها وراءهم ليعودوا إلى حياتهم الشخصية التي لا تُعبر عنها بحال من الأحوال، ومن سَمِع بأخبارهم وخلافاتهم الزوجية المنشورة أمام الخلق في الصحف وشاشات التلفاز عَلِم ذلك عِلم اليقين.

(٢) فكم من علاقة ابتدأت بحب موهوم ثم ما لبثت بعد الزواج أن تحولت إلى عداوة ظاهرة أو جفاء بغيض، حين يكتشف الزوجان أنّ الصورة العالقة بأذهانهما عن بعضهما البعض قبل الزواج لم تكن حقيقية، ولدي من هذه النماذج التي أعرفها عن قرب أو حدثني بها الثقات الكثير.

ولابن قيّم الجوزية كلام جميل في هذا المعنى يقول فيه: «فإذا كانت المحبة بالمشاكلة والمناسبة ثبتت وتمكنت ولم يُزلها إلا مانع أقوى من السبب، وإذا لم تكن بالمشاكلة فإنما هي محبة لغرضٌ من الأغراض تزول عند انقضائه وتضمحل، فمن أحبك لأمر ولَّى عند انقضائه، فداعي المحبة وباعثها إن كان غرضاً للمحب لم يكن لمحبته بقاء، وإن كان أمراً قائماً بالمحبوب سريع الزوال والانتقال زالت محبته بزواله، وإن كان صفة لازمة فمحبته باقية ببقاء داعيها مالم يعارضه معارضٌ يوجب زوالها، وهو إما تغيُّر حال في المحب أو أذى من المحبوب، فإنّ الأذى إما أن يضعف المحبة أو يزيلها» روضة المحبين (ص٧٠).

شرًّاً لا بد منه، حتى قال أحد ظرفائهم في عقاب ذئب أمسكه أعداؤه:

إنّ ذئباً أمسَكُوه وتماروْا في عِقابِه
قال شيخٌ: زوِّجوه ودَعُوه في عذابه[(١)]

وهؤلاء جميعاً أبعدوا النُّجعة وذهبوا في الزواج مذاهبَ بعيدة، ليست منه ولا من شأنه.

لكننا الآن أمام زوجٍ ليس كسائر الأزواج . . .

إنه زوج يأنس بذكرى امرأة فارقت الدنيا لكنها لم تفارقه . . . يعيش ذكراها كما لو كانت حاضرة أمامه.

(ونفس المحب متخلصة، عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة، طالبة له، قاصدة إليه، باحثة عنه، مشتهية لملاقاته، جاذبة له لو أمكنها كالمغنيطس والحديد)[(٢)].

هكذا بدا لنا الحب في العلاقة التي جمعت النبي ﷺ بأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

تقول عائشة رضي الله عنها: «مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِي ﷺ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا»[(٣)].

تقول هذا وهي لم تُدرك خديجة رضي الله عنه ولم ترها ولم ترَ شيئاً من العلاقة التي

---

(١) ذكره الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله في كتابه (العلماء العزّاب ص١٥) وعزاه إلى أحد الظرفاء.

(٢) طوق الحمامة (ص٩٦).

(٣) يأتي تخريجه قريباً.

جمعتها بالنبي ﷺ؛ لكنها رأت من زوجها ﷺ لخديجة رضي الله عنها -المتوفاة- حُباً عظيماً ما رأت مثله من النبي ﷺ لزوجاته الأحياء على كثرتهن.

تقول مُكملة حديثها: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ». فَأَغْضَبْتُهُ يَوْماً فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ!».

وكأنها تقول له: أما نسيتها، أما زلت ذكراها في فؤادك بعد طول العهد بها.

فيجيبها ﷺ بإجابة حاسمة، تأسر القلوب بدقة معانيها وشفافيتها، يقول عن خديجة رضي الله عنها: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»[(١)].

فياللَّه ما أعظمها من عبارة!

جمعت فأوعت ... وأوجزت فأشبعت ..

إنّ الرجل لا يتذكر من زوجته عادة -بعد مفارقتها الحياة- إلا ذكريات جميلة قضياها معاً أو أخرى مؤلمة ثبتت في الذهن وخلّفها الزمن، وغاية ما يفعله أن يترحم عليها عند ذِكرها أو تذكّرها، وقد يبقى لديه جانب من المودة يعيش على ما خلفته تلك الزوجة من أطفال أو متاع أو ذكريات.

وإذا ما رزقه اللَّه تعالى زوجة صالحة فإنّ الخطب يهون عليه، والذكرى تكون أبعد من قلبه وعقله، لكننا أمام زوج تكاثرت عليه هموم الدنيا وأعباء الدعوة، ورزقه اللَّه تعالى بدل الزوجة الصالحة زوجات، لكنه أبى إلا أن يُعطينا درساً في الحب والوفاء للمحبوب، وفي تذكّر من نحب.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه - ح (٢٤٣٥).

تقول عائشة رضي الله عنها: «ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يُكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يُقطّعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد»(١).

وفي رواية أخرى قالت: «كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء قالت فغِرتُ يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها، حمراء الشدق(٢) قد أبدلك اللَّه عزّ وجل بها خيراً منها، قال: ما أبدلني اللَّه عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني اللَّه عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»(٣).

هذه خديجة . . . وهذه صلتها بعد موتها . . . إنها ماتت لكنها لم تمت في قلبه عليه الصلاة والسلام، فهو يُكثر ذكرها ويحرص على صلتها بعد موتها من خلال صدائقها، ويحفظ لها نصرتها له وذكرياتها معه ونسلها الذي يراه ويحنو عليه.

لم تكن تلك الصلة مقتصرة على أخص الناس بخديجة بل بمن عُرفت بمحبتها خديجة ولو لم تكن من خاصتها.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - ح (٣٨١٨).

(٢) حمراء الشدق: أي سقطت أسنانها.

(٣) قال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٣/ ٤٨٤): «وهذا إسناد ضعيف، رجاله ثقات؛ غير مجالد، وليس بالقوي - كما تقدم مراراً -. وقول الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٤): «رواه أحمد وإسناده حسن» فهذا من تساهله! ولا سيما والحديث في «الصحيحين» مختصر عن هذا ، وليس فيه قوله : «ما أبدلني اللَّه خيراً منها»».

يحكي أنس بن مالك رضي الله عنه عن هذا فيقول: كان النبي ﷺ إذا أُتي بالشيء يقول: «اذهبوا به إلى فلانة؛ فإنها كانت صديقة خديجة. اذهبوا به إلى بيت فلانة؛ فإنها كانت تحب خديجة»[(١)].

هذا الاهتمام بخديجة رضي الله عنها وبكل ما يخصها يتجلى وبأجمل صوره في لقاء النبي ﷺ بعجوز كانت تأتي خديجة رضي الله عنها في بيتها.

تقول عائشة رضي الله عنها: «جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وهو عندي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ فَقَالَ: بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ[(٢)]، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُم؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟ قَالَت: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا خَرَجَت، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الإِقْبَال، فَقَال: إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الإِيمَان»[(٣)].

---

(١) الأدب المفرد للبخاري (١/ ٩٠) بسند حسن.

(٢) فائدة: قال الإمام الطبري: «لا ينبغي التسمية باسم قبيح المعنى، ولا باسم يقتضي التزكية له، ولا باسم معناه السب، ولو كانت الأسماء إنما هي أعلام للأشخاص لا يقصد بها حقيقة الصفة لكن وجه الكراهة أن يسمع سامع بالاسم فيظن أنه صفة للمسمى، فلذلك كان ﷺ يحول الاسم إلى ما إذا دعي به صاحبه كان صدقاً. قال: وقد غير رسول اللَّه ﷺ عدة أسماء». ذكره في الفتح (١٠/ ٤٧٦).

وقال الشيخ الألباني بعد ذكره لكلام الإمام الطبري: (وعلى ذلك فلا يجوز التسمية بعز الدين ومحي الدين وناصر الدين ونحو ذلك، ومن أقبح الأسماء التي راجت فى هذا العصر ويجب المبادرة إلى تغييرها لقبح معانيها هذه الأسماء التي أخذ الآباء يطلقونها على بناتهم مثل (وصال) و(سهام) و(نهاد) و(غادة) و(فتنة) ونحو ذلك. واللَّه المستعان). انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٢١٥).

(٣) معجم ابن الأعرابي (١/ ٤٠١) والمستدرك (١/ ١٥-١٦)، وفيه (صالح بن رستم) وهو ضعيف ولكنه قد توبع، فالحديث صحيح، وبهذا حكم الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٤٢٤).

وإن شئت لعينيك أن تفيضا بالدمع فقف بجانبي وانظر إلى وجه رسول اللَّه ﷺ وهو يشاهد قلادة كانت لخديجة رضي الله عنها بعد وفاة خديجة بزمن بعيد.

تقول عائشة رضي الله عنها: «لما بعثَ أهلُ مكة في فداء أسراهم، بعَثَتْ زينب بنت رسول اللَّه ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبَعَثَتْ فيه بقلادة لها كانت لخديجة، أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها. قالت: فلمّا رآها رسول اللَّه ﷺ، رق لها رِقّةً شديدة، وقال: «إنْ رأيتم أنْ تُطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها، فافعلوا»، فقالوا: نعم يا رسول اللَّه، فأطلقوه، وردّوا عليها الذي لها»[(١)].

فهذه قلادة أهدتها خديجة رضي الله عنها لابنتها زينب رضي الله عنها بمناسبة فرح وسرور، وذلك يوم زواجها من أبي العاص بن الربيع، فلما فرّق بينهما الإسلام حين أسلمت زينب وأبى زوجها ذلك حتى أُسر يوم بدر، بعثت زينب رضي الله عنها بقلادة خديجة رضي الله عنها تفتدي زوجها الأسير، فكان لهذه القلادة أثرها العظيم في نفس رسول اللَّه ﷺ.

لقد ارتبطت تلك القلادة بالأمس بمناسبة فرح وسرور، فمالها اليوم ترجع إلى النبي ﷺ بمناسبة أسر وحزن.

* * *

(١) رواه أحمد في المسند - ح (٢٦٣٦٢)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن من أجل ابن إسحاق.

إسلامها ومؤازرتها لرسول اللَّه ﷺ

«كانت خديجة أول من آمن باللَّه ورسوله وصدق ما جاء به، فخفف اللَّه بذلك عن رسول اللَّه ﷺ، لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج اللَّه عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، رحمها اللَّه».

هكذا ترجم لها **إمام السير والمغازي ابن إسحاق** (١٥١هـ)[(١)]، على طول العهد بها... إذ كانت نصرتها ومؤازرتها لرسول اللَّه ﷺ أظهر من أن يُحتاج إلى التدليل عليها.

هي أول امرأة تزوجها النبي ﷺ، وهي كما يقول **الإمام ابن الأثير** (٦٣٠هـ): «أول خلق اللَّه أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة»[(٢)].

حين نزل الوحي

حُبب إلى رسول اللَّه ﷺ الخلاء.. فكان يتعبد اللَّه عز وجل الليالي ذوات العدد[(٣)] في غار حراء فإذا ما نفذ معه الماء والزاد رجع إلى أهله تزوّد لذلك[(٤)].

(١) السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ٢٤٠).
(٢) أسد الغابة: (٧/ ٨٠) ط العلمية.
(٣) المراد بها شهر رمضان فتح الباري (٨/ ٧١٧).
(٤) وفي هذا منقبة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها التي قدّرت لزوجها ﷺ -ولم يكن إذ ذاك قد نزل عليه الوحي- هذه الرغبة في التحنث بعيداً عن بيته هذه الفترة وغيرها دون مضايقة أو إزعاج.

وبينما كان النبي ﷺ خالياً بنفسه في الغار كعادته . . . يتعبد اللَّه عز وجل بهدوء تام . . إذ يأتيه فجأة آتٍ قِبَلَ وجهه، لا يعرف من هو، ولم يره قد دخل الغار، فيقول له: اقرأ . . فيقول له: ما أنا بقارئ، فغَطّه حتى بلغ منه الجهد[١] ثم أرسله وقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فغطّه الثانية حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فأخذه فغطه الثالثة ثم أرسله فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾، فرجع بها رسول اللَّه ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فأخبر خديجة رضي الله عنها ما حصل له ثم قال: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا واللَّه ما يخزيك اللَّه أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق[٢].

وقد ضربت خديجة رضي الله عنها بفعلها هذا أروع الأمثال في وقوف المرأة إلى جانب زوجها في المضرات ولو كانت غريبة بالنسبة إليها وإليه.

لم تقل له: إن كانت خلوتك في الغار تضيرك أو تفزعك، فدع عنك تلك الخلوة، وابق معنا في البيت!

لكنها وقفت معه منافحة عن الأمر الذي حُبب إليه . . لقد علِمت رضي الله عنها

(١) قال الحافظ ابن حجر في (الفتح: ١/ ٢٤): «كَأَنَّهُ أَرَادَ ضَمَّنِي وَعَصَرَنِي وَالْغَطُّ حَبْسُ النَّفَسِ وَمِنْهُ غَطَّهُ فِي الْمَاءِ أَوْ أَرَادَ غَمَّنِي وَمِنْهُ الْخَنْقُ، وَلِأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ فَأَخَذَ بِحَلْقِي، قَوْلُهُ: (حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ) رُوِيَ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْبِ أَيْ: بَلَغَ الْغَطُّ مِنِّي غَايَةَ وُسْعِي، وَرُوِيَ بِالضَّمِّ وَالرَّفْعِ أَيْ: بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ مَبْلَغَهُ».

(٢) رواه البخاري في صحيحه - ح (٣) ومسلم في صحيحه- ح (١٦٠).

على جاهليتها آنذاك أنّ اللَّه عز وجل لا يضيع الصالح البار، وأنّ مِثل محمد ﷺ لن يضيعه اللَّه عز وجل.

لقد أدركت بفهمها الثاقب ما نزل به القرآن الكريم بعد في قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

وانطلقت به حتى أتت به ابن عمّها ورقة بن نوفل، وكان امرءاً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء اللَّه أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول اللَّه ﷺ ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل اللَّه على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول اللَّه ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً[(٢)].

عاد النبي ﷺ إلى مجاورة حراء ليكمل خلوته وهو متشوق للوحي الذي حدّثه عنه ورقة بن نوفل رضي الله عنه، لكن الوحي فتر.

حتى إذا أكمل النبي ﷺ شهر رمضان عاد إلى بيته فإذا به يرى أمين الوحي جبريل عليه السلام ولكن بصورة غير تلك التي رآه فيها أول مرة.

يحكي لنا ذلك المصطفى ﷺ فيقول: «فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين

(١) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه - ح (٣) ومسلم في صحيحه - ح (١٦٠).

السماء والأرض فجئثت منه رعباً فرجعت فقلت: زملوني زملوني فدثروني فأنزل اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إلى ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ قبل أن تفرض الصلاة وهي الأوثان»[(١)].

وفي رواية مسلم: «جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحداً ثم نوديت فنظرت فلم أر أحداً ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء (يعني جبريل عليه السلام) فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت: دَثِّروني، فَدَثَّروني، فَصَبُّوا عَلَيَّ ماءً، فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾»[(٢)].

هكذا تنزّل الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .. وهكذا أثبتت خديجة رضي الله عنها أنها امرأةٌ ذات عقل راجح، وحكمةٍ، ورويَّة، وتبصر بالأُمور.

لقد أتاها زوجها عليه الصلاة والسلام في حالة ذعر مما رأى، فأحسنت استقباله ومحادثته وطمأنته بحفظ اللَّه له وأقسمت عَلَى ذلك وهي البارة الصادقة أنّ اللَّه لن يخزيه أبداً، ثم راحت تعدد صفاته النبيلة الحميدة التي من تحلى بها فلن يَخزى ولن يَذل أبداً «إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتُقري الضيف، وتُكسب المعدوم، وتُعين عَلَى نوائبِ الحق».

(١) رواه البخاري في صحيحه - ح (٤٩٢٥)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فجئثت منه» أي رعبت، وفي لفظ: «فجثثت» أي: هويت وسقطت.
(٢) رواه مسلم في صحيحه - ح (١٦١).

فقد كان معلوماً عند أهل الجاهلية أنّ المرء الذي تجتمع فيه هذه الصفات النبيلة محمودٌ عند اللَّه تعالى، لأنّ كل النفوس مجبولة على أنّ اللَّه سبحانه وتعالى عَدلٌ كريمٌ يُجازي الإِنسَان من جنس ما يعمل.

قصة زائفة في امتحان خديجة للوحي

لا يفوتني وأنا أعيش معك هذه السيرة العطرة لأم المؤمنين خديجة ﵂، وتلك اللحظات الصعبة التي عاشتها إلى جانب زوجها النبي ﷺ وهو يَحكي لها ما رآه في غار حراء، أن أُشير إلى إحدى القصص الزائفة المشتهرة على الألسن وفي الكتب عن علاقة خديجة ﵂ بالوحي، والتي تحتاج منا إلى وقفة ننتصر فيها للنبي ﷺ أولًا ولأم المؤمنين خديجة ﵂ ثانياً من مثل هذه الروايات السقيمة.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي إسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيم مَوْلَى آلِ الزّبَيْرِ: أَنّهُ حُدّثَ عَنْ خَدِيجَةَ ﵂ أَنّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ: أَيْ ابْنَ عَمّ أَتَسْتَطِيعُ أَنّ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِك هَذَا الّذِي يَأْتِيك إذَا جَاءَك؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ فَإِذَا جَاءَك فَأَخْبِرْنِي بِهِ. فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لِخَدِيجَةَ: يَا خَدِيجَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي، قَالَتْ: قُمْ يَا ابْنَ عَمّ، فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُسْرَى؛ قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَتَحَوّلْ فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُمْنَى؛ قَالَتْ: فَتَحَوّلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَى فَخِذِهَا الْيُمْنَى، فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ نَعَمْ .

قَالَتْ: فَتَحَوّلْ فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي، قَالَتْ: فَتَحَوّلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَجَلَسَ فِي حِجْرِهَا. قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ فَتَحَسّرَتْ وَأَلْقَتْ خِمَارَهَا

وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا، ثُمّ قَالَتْ لَهُ هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ لَا ، قَالَتْ: يَا ابْنَ عَمّ اُثْبُتْ وَأَبْشِرْ فَوَاَللّهِ إنّهُ لَمَلَكٌ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ، قَالَ ابْن إسْحَاق : وقد حَدّثتُ عَبْدَ اللّه بْن حَسَن هذا الحديث فقال: قد سمعت أُمّي فَاطِمَةَ بِنْتَ حُسَيْنٍ تُحَدّث بهذا الْحديث عنْ خَديجة إلّا أَنّي سَمعتها تقول أَدْخَلَتْ رَسُولَ اللّهِ ﷺ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِرْعِهَا، فَذَهَبَ عِنْدَ ذَلِكَ جِبْرِيلُ فَقَالَتْ لِرَسُولِ اللّه ﷺ: إنّ هَذَا لَمَلَكٌ وَمَا هُوَ بِشَيْطَانٍ[١].

وقد كنت أخرت دراسة هذه الرواية بالتفصيل إلى حين اكتمال المادة العلمية لدي حتى وقفت على ما قام به الأستاذ العوشن مشكوراً في كتابه (ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية) فوجدت فيه الكفاية.

يقول الأستاذ العوشن: وإسناد ابن إسحاق الأول معضل، فإسماعيل بن أبي حكيم لا يُعرف له سماع عن أحد من الصحابة، وخديجة رضي الله عنها كانت وفاتها قبل الهجرة. وكذا إسناده الآخر، فإنّ فاطمة بنت الحسين روايتها عن جدتها فاطمة بنت النبي ﷺ مرسلة، فكيف عن خديجة؟[٢]

ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في (الدلائل)[٣].

وقد تعقّب الشيخ الألباني في المجلد الثالث عشر من (سلسلة الأحاديث الضعيفة) تحسين الحافظ الهيثمي للحديث بعد عزوه للحافظ الطبراني، فذكر الشيخ الألباني في الحديث علتين:

---

(١) السيرة النبوية (١/ ١٥٧).
(٢) ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية (ص٢٧).
(٣) دلائل النبوة (٢/ ١٥٢).

١- ضعف يحيى بن سليمان بن نضلة المديني

٢- مخالفته لمن هو أوثق منه[١].

أقول: والمتأمل للرواية يجد أنها قد أظهرت خديجة رضي الله عنها بصورة من يعلم طبائع الملائكة وعاداتهم وعلائم النبوة ودلائل الوحي، وهذا متعذر جداً في امرأة لم تعرف الوحي من قبل ولم يكن لها من علمه شيء!

ويُكذّبه أنها لو كانت كذلك لما لجأت إلى ورقة بن نوفل ليُفسر لها ما حصل لزوجها عليه الصلاة والسلام.

ويُكذّبه أنها لم ولن تكون أعلم بطبائع الملائكة ودلائل الوحي وعلائم النبوة من الذي اختاره اللَّه تعالى للنبوة، بحيث تُعلّمه الفرق بين الملك والشيطان بهذه الطريقة.

كما أنّ الرواية مخالفة لما ثبت في صحيح البخاري من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأم سلمة رضي الله عنها: «يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه واللَّه ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»[٢].

فلو كان ما ذُكر عن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها حقاً لما عبّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن خصوصية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالأمر.

على أننا نشير إلى فائدة في خُلق جبريل عليه السلام وهو يتنزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي رواها مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٦٠٩٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه - ح (٣٧٧٥).

ﷺ: «.. ولم يكن يدخل عليكِ وقد وضعتِ ثيابك»[١].

في شِعب بني هاشم

وقفت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بجانب زوجها المصطفى- ﷺ- تساعده وتشد من أزره، وتعينه على احتمال الشدائد والمصائب، تدفع من مالها لنصرته، ومن حنانها وعطفها لمواساته وتسليته، ولعل موقفها من ميثاق الظلم والعدوان الذي كتبه المشركون حين اجتمعوا في خيف بني كنانة وتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلموا إليهم رسول اللَّه ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق «ألا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل».

فتحملت لأجل اللَّه تعالى ورسوله ﷺ أن تعاني مع بني هاشم وبني المطلب الحصار الجائر المفروض عليهم مدة ثلاث سنوات بلا طعام سوى ما كان يصل إلى المحاصرين سراً، أو في الأشهر الحُرم حين يستطيع المحاصرون الخروج من الشعب لشراء الحوائج وبأسعار مبالغ فيها.

وقد سعت خديجة رضي الله عنها إلى تحريك بعض قراباتها لمساعدتها في فك هذا الحصار الجائر، وفي الضغط على أبي جهل الذي فرضه.

قال البلاذري: «وأرسلت خديجة بنت خويلد إلى زمعة بن الأسود: إنّ أبا جهل يمنع من ابتياع ما نريد، فأسمع أبا جهل كلاماً. فأسمعه، فأمسك.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه - ح (٩٧٤).

وبعث إليها حكيم بن حزام بن خويلد بناقة، عليها دقيق، فسرحها في الشعب. وكان يخلص إليهم الشيء بعد الشيء»[١].

ويذكر ابن هشام في (السيرة) أنّ حكيم بن حزام بن خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وقد كان إذْ ذاك على الكفر - ضاق ذرعاً بهذا الحصار الجائر وهو يرى عمته خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تعاني ما تعانيه من الجوع والتضييق، فخرج بغلام له يحمل قمحاً ذاهباً إلى الشعب، فلقيه أبو جهل فتعلّق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم؟ واللَّه لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة . فجاءه أبو البختري ابن هاشم بن الحارث بن أسد فقال: مالك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال له أبو البختري: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها! خل سبيل الرجل، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ له أبو البختري لحى بعير فضربه به فشجه، ووطئه وطأ شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فيشمتوا بهم، ورسول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على ذلك يدعو قومه ليلًا ونهاراً، وسراً وجهاراً، مبادياً بأمر اللَّه لا يتقى فيه أحداً من الناس[٢].

* * *

(١) أنساب الأشراف (١/ ٢٣٥).

(٢) السيرة (١/ ٢٣٦).

وفاتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

كان خروج النبي ﷺ ومن معه من محنة الحصار في السنة العاشرة من البعثة النبوية، وقبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين.

لكن لم يكد النبي ﷺ أن ينعم بالراحة مع خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد طول مكابدة في الحصار حتى مَرِضت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واشتد بها المرض حتى كان النبي ﷺ يسهر إلى جانبها ليرعاها ويقوم على خدمتها[(١)].

---

(١) ومن غريب ما روت كتب الأخبار أنّ النبي ﷺ حدثها في مرضها يوماً فقال: «بالكره مني ما أرى منك يا خديجة، وقد يجعل اللَّه في الكره خيراً كثيراً، أما علمت أنّ اللَّه قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون» قالت: وقد فعل اللَّه بك ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: «نعم» قالت: «بالرفاء والبنين».

قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢١٨): «رواه الطبراني منقطع الإسناد، وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف».

وابن زبالة هذا قال عنه يحيى بن معين: ليس بثقة، كان يسرق الحديث واسمه محمد بن الحسن مديني، وكان كذاباً.

وقال البخاري: عنده مناكير.

وقال النسائي: متروك الحديث.

وقال الدراقطني: متروك. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٣٧٢) وموسوعة أقوال الدارقطني (٢/ ٥٦٤).

وفي رواية أبي بكر الهذلي عند ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٠/ ١١٨): «يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فأقرئيهن مني السلام، قالت: يا رسول اللَّه وهل تزوجت قبلي قال: لا، ولكن اللَّه زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى». وهذا إسناد ضعيف أيضاً، ففي سند الرواية (أبو بكر الهذلي) وهو متروك، نص غير واحد من علماء الجرح والتعديل على تضعيفه - كما في تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٠-٤١). =

وقد كانت وفاتها رضي الله عنها على الصحيح بعد البعثة النبوية بعشر سنين كما أشار إلى ذلك جمع من العلماء الأثبات.

فقد قال **الحافظ ابن حجر العسقلاني** في (فتح الباري): «وَمَاتَتْ عَلَى الصَّحِيح بَعْد الْمَبْعَث بِعَشْرِ سِنِينَ فِي شَهْر رَمَضَان، وَقِيلَ: بِثَمَانٍ، وَقِيلَ: بِسَبْعٍ، فَأَقَامَتْ مَعَهُ صلى الله عليه وآله وسلم خَمْساً وَعِشْرِينَ سَنَة عَلَى الصَّحِيح، وَقَالَ ابن عَبْد الْبَرّ أَرْبَعاً وَعِشْرِينَ سَنَة وَأَرْبَعَة أَشْهُر، وَسَيَأْتِي مِنْ حَدِيث عَائِشَة مَا يُؤَيِّد الصَّحِيح فِي أَنَّ مَوْتهَا قَبْل الْهِجْرَة بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَذَلِكَ بَعْد الْمَبْعَث عَلَى الصَّوَاب بِعَشْرِ سِنِين»(١).

وقال **بدر الدين العيني**: «وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام»(٢).

حزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها حُزناً أثر بالمسلمين، فخافوا من الحزن على نبيهم صلوات ربي وسلامه عليه، فسارت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم خولة بنت حكيم وقالت: يا رسول اللَّه، كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة، قال: أجل، كانت أم العيال وربة البيت(٣).

لكن خولة بنت حكيم رضي الله عنها كانت حريصة جد الحرص على أن يتزوج

= وفيه أيضاً (محمد بن زكريا الغلابي) وهو ضعيف بل قال عنه الدارقطني كما في ميزان الاعتدال (٣/ ٥٥٠): يضع الحديث.

فلا عجب حينئذ أن يحكم الإمام ابن كثير بضعف الرواية في تفسيره (٨/ ١٦٦).

(١) فتح الباري (٧/ ١٠٠).

(٢) عمدة القاري (١/ ٦٣).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٥٧) وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٨/ ١٠٢): «سنده قوي مع إرساله».

النبي ﷺ بعد خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من تقف معه في ظروف الدعوة العصبية فتعوضه شيئاً من الحنان والدفء الذي كان يجده في بيته ﷺ .

فقد روى الإمام أحمد في (المسند) من طريق محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو سلمة ويحيى قالا: «لما هلكت خديجة، جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون، قالت: يا رسول اللَّه، ألا تزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً، قال: فمن البكر؟ قالت: ابنة أحب خلق اللَّه عز وجل إليك عائشة بنت أبي بكر، قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة ابنة زمعة، قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول، قال: فاذهبي فاذكريهما علي فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان، ماذا أدخل اللَّه عز وجل عليكم من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟قالت: أرسلني رسول اللَّه ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي، فجاء أبو بكر، فقالت: يا أبا بكر، ماذا أدخل اللَّه عليكم من الخير والبركة؟ قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول اللَّه ﷺ أخطب عليه عائشة، قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه، فرجعت إلى رسول اللَّه ﷺ فذكرت له ذلك. قال: ارجعي إليه، فقولي له: أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام وابنتك تصلح لي. فرجعت فذكرت ذلك له، قال: انتظري، وخرج، قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه، فواللَّه ما وعد وعداً قط فأخلفه لأبي بكر، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي، وعنده امرأته أم الفتى، فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مُصْبٍ صاحبَنا مدخلُه في دينك الذي أنت عليه، إنْ تزوج إليك.

قال أبو بكر للمطعم بن عدي: أَقَولَ هذه تقول قال: إنها تقول ذلك،

فخرج من عنده وقد أذهب اللَّه عز و جل ما كان في نفسه من عدته التي وعده فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول اللَّه ﷺ فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت ماذا أدخل اللَّه عز وجل عليك من الخير والبركة، قالت: وما ذاك، قالت: أرسلني رسول اللَّه ﷺ أخطبك عليه، قالت: وددت، ادخلي إلى أبي فاذكري ذاك له، وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية، فقال: من هذه؟ فقالت: خولة بنت حكيم، قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد اللَّه أخطب عليه سودة، قال: كفء كريم، ماذا تقول صاحبتك، قالت: تحب ذاك، قال ادعها لي، فدعيتها، قال: أي بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك، وهو كفء كريم، أتحبين أن أزوجك به؟ قالت: نعم، قال ادعيه لي فجاء رسول اللَّه ﷺ إليه فزوجها إياه، فجاءها أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثي في رأسه التراب فقال بعد أن أسلم: لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول اللَّه ﷺ سودة بنت زمعة»[(١)].

* * *

(١) مسند أحمد (٦/ ٢١٢) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على الحديث: «إسناده حسن من أجل محمد بن عمرو وهو ابن علقمة بن وقاص وقد روى له البخاري مقرونا ومسلم متابعة».

فضلها وعظيم قدرها

«فَضْلُهَا عَظِيمٌ، وَخَطَرُهَا[١] جَزِيلٌ، أَكْرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى الْعَظِيمُ بِأَنْ زَوَّجَها رَسُولَهُ ﷺ ، رُزِقَتْ مِنْهُ الْأَوْلَادَ الْكِرَامَ ، وَأَوْلَدَهَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ، مُهْجَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَظِّمُ قَدْرَ خَدِيجَةَ ، وَيُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَيَغْضَبُ لَهَا، وَيُثْنِي عَلَيْهَا، كَرَامَةً مِنْهُ لَهَا ، بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ زَوْجَتُهُ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُهَا بِمَا يُشَاهِدُ مِنَ الْوَحْيِ، فَتُثَبِّتُهُ وَتُعْلِمُهُ: إِنَّكَ نَبِيٌّ، وَإِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ كَرِيمٌ، وَيَتَعَبَّدُ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَبَلِ حِرَاءٍ، فَتُزَوِّدُهُ وَتُعِينُهُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَحُوطُهُ بِكُلِّ مَا يُحِبُّ فَبَشَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهَا فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْكَرَامَةِ ، أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، وَهُوَ الدُّرُ الْمُجَوَّفُ»[٢] .

وعلماء الأمة «لا يختلفون أنّ رسول اللَّه ﷺ لم يتزوج في الجاهلية غير خديجة ولا تزوج عليها أحداً من نسائه حتى ماتت ولم تلد له من المهارى[٣] غيرها»[٤] .

(١) يُقال للشيء إذا ارتفع قدره ومكانته «خطير».

(٢) الشريعة للإمام الآجري (٤/ ٣٥٧).

(٣) أي الحرائر وهي ضد السّرائر، ومفردها مُهِيرَةُ، والمراد أنه لم يلد للنبي ﷺ من زوجاته الحرائر غير خديجة رضي الله عنها ، وإنما نُصّ على كونهن حرائر، لأنّ مارية القبطية رضي الله عنها أنجبت لرسول اللَّه ﷺ وهي من سراريه.

(٤) الاستيعاب (٤/ ١٨١٩).

قال **الإمام الذهبي (٧٤٨هـ)**: «ومناقبها جمّة، وهي ممن كمل من النساء. كانت عاقلة جليلة دَينة مصونةً كريمةً، من أهل الجنة. وكان النبي ﷺ يُثني عليها، ويُفضّلها على سائر أمهات المؤمنين، ويُبالغ في تعظيمها بحيث إنّ عائشة رضي الله عنها كانت تقول: ما غِرت من امرأة ما غِرت من خديجة، من كثرةِ ذِكر النبي ﷺ لها. ومن كرامتها عليه ﷺ أنها لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قطّ، ولا تسرّى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين. وكانت تنفق عليه من مالها، ويتجر هو ﷺ لها. وقد أمره اللَّه أن يُبشِّرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[(١)].

وقال **الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ)**: «وقد تقدم في أبواب بدء الوحي بيان تصديقها للنبي ﷺ في أول وهلة ومن ثباتها في الأمر ما يدل على قوة يقينها ووفور عقلها وصحة عزمها، لا جرم كانت أفضل نسائه على الراجح»[(٢)].

ولأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها فضائل خاصة امتازت بها عن سائر أزواج النبي ﷺ، منها:

١- أنها أول الناس إيماناً به عليه الصلاة والسلام، وقد تقدّم ذكر ذلك.

٢- أنه ﷺ لم يتزوج عليها في حياتها قطّ، ولا تسرّى بامرأة حتى فارقت الدنيا.

٣- أنها أحب أزواج النبي ﷺ إليه، إذ عدّ حبه لها رزقاً من اللَّه رزقه إياه.

وفي هذا تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِي ﷺ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٠).

(٢) فتح الباري (٧/ ١٠٠).

إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ». قَالَتْ فَأَغْضَبْتُهُ يَوْماً فَقُلْتُ خَدِيجَة فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»[(١)].

٤- أنها خير نساء الأمة مطلقاً، فقد روى البخاري في صحيحه عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة»[(٢)].

٥- أنّ النبي ﷺ كان يُكثر ذكرها وصلتها بعد وفاتها رضي الله عنها.

فقد روى البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني لِمَا كنت أسمعه يذكرها، وأمره اللَّه أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها[(٣)] منها ما يَسعُهُن»[(٤)].

وعند الإمام مسلم: «ما غرت للنبي ﷺ على امرأة من نسائه ما غرت على خديجة لكثرة ذكره إياها وما رأيتها قط»[(٥)].

وفي لفظ: «ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لِما كُنت أسمعه يذكرها»[(٦)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه - ح (٢٤٣٥).
(٢) رواه البخاري في صحيحه - ح (٣٤٣٢).
(٣) أي: صديقاتها وخلائل جمع خليلة.
(٤) رواه البخاري في صحيحه - ح (٣٨١٦)، ورواه مسلم في صحيحه - ح (٢٤٣٥).
(٥) رواه مسلم في صحيحه - ح (٢٤٣٥).
(٦) المصدر السابق.

قال **الحافظ ابن حجر** في (الفتح): (فِيهِ ثُبُوت الْغَيْرَة وَأَنَّهَا غَيْر مُسْتَنْكَر وُقُوعهَا مِنْ فَاضِلَات النِّسَاء فَضْلًا عَمَّنْ دُونهنَّ ، وَأَنَّ عَائِشَة كَانَتْ تَغَار مِنْ نِسَاء النَّبِيّ ﷺ لَكِنْ كَانَتْ تَغَار مِنْ خَدِيجَة أَكْثَر وَقَدْ بَيَّنَتْ سَبَب ذَلِكَ وَأَنَّهُ لِكَثْرَةِ ذِكْر النَّبِيّ ﷺ إِيَّاهَا، وَوَقَعَ فِي الرِّوَايَة الَّتِي تَلِي هَذِهِ أَبْيَن مِنْ هَذَا حَيْثُ قَالَ فِيهَا: «مِنْ كَثْرَة ذِكْر رَسُول اللَّه ﷺ إِيَّاهَا» وَأَصْل غَيْرَة الْمَرْأَة مِنْ تَخَيُّل مَحَبَّة غَيْرهَا أَكْثَر مِنْهَا، وَكَثْرَة الذِّكْر تَدُلّ عَلَى كَثْرَة الْمَحَبَّة)[١].

٦- أنّ جبريل عليه السلام بشّرها بسلام اللَّه جل وعلا وبسلامه عليها، وبشّرها ببيت لها في الجنة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى جبريل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشّرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[٢].

وفي رواية الطبراني أنها قالت: «هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام»[٣].

قال **الحافظ ابن حجر**: «قال العلماء: في هذه القصة دليل على وفور فقهها لأنها لم تقل «وعليه السَّلام» كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد «السلام على اللَّه» فنهاهم النبي ﷺ وقال: إنّ اللَّه هو السلام، فقولوا: «التحيات للَّه» فعرفت خديجة لصحة فهمها أنّ اللَّه لا

(١) فتح الباري (١١/ ١٣١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه - ح (٣٨٢٠) ومسلم في صحيحه - ح (٢٤٣٢).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ١٥) - ح (٢٥).

يُرد عليه السَّلام كما يُرد على المخلوقين لأنّ السلام اسم من أسماء اللَّه، وهو أيضاً دعاء بالسلامة وكلاها لا يصلح أن يرد به على اللَّه، فكأنها قالت: كيف أقول: «عليه السَّلام» والسلام اسمه ومنه يطلب ومنه يحصل، فيستفاد منه أنه لا يليق باللَّه إلا الثناء عليه، فجعلت مكان رد السلام عليه الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق باللَّه وما يليق بغيره، فقالت: وعلى جبريل السلام ثم قالت: «وعليك السلام» ويستفاد منه رد السلام على من أرسل السلام وعلى من بلغه، والذي يظهر أنّ جبريل كان حاضراً عند جوابها فردّت عليه وعلى النبي ﷺ مرتين، مرة بالتخصيص ومرة بالتعميم ثم أخرجت الشيطان ممن سمع لأنه لا يستحق الدعاء بذلك، قيل: إنما بلّغها جبريل عليه السلام من ربها بواسطة النبي ﷺ احتراماً للنبي ﷺ وكذلك وقع له لما سلم على عائشة لم يواجهها بالسلام بل راسلها مع النبي ﷺ، وقد واجه مريم بالخطاب فقيل: لأنها نبية، وقيل: لأنها لم يكن معها زوج يُحترم معه مخاطبتها»[(١)].

ثم نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله استدلال العلماء بهذه الفضيلة على أفضلية أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها على سائر نساء النبي ﷺ وبالأخص أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لكونها أفضل نساء النبي ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها فقال: «قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أنّ خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلّم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن

---

(١) فتح الباري (٧/ ١٠٦) وقول أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: (هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ١٥)، وعند النسائي في السنن الكبرى (٥/ ٩٤): (إنّ اللَّه هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة اللَّه وبركاته)، وكان الحافظ قد أشار إلى تخريج هذين اللفظين قبل كلامه السابق.

العربي أنه لا خلاف في أنّ خديجة أفضل من عائشة، وردّ بأنّ الخلاف ثابت قديماً وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم، قلت: ومن صريح ما جاء في تفضيل خديجة ما أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الحاكم من حديث ابن عباس رفعه «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد»[(١)].

قال السبكي الكبير -كما تقدم-: لعائشة من الفضائل ما لا يُحصى ولكن الذي نختاره وندين اللَّه به أنّ فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة، واستدل لفضل فاطمة بما تقدم في ترجمتها أنها سيدة نساء المؤمنين، قلت: وقال بعض من أدركناه: الذي يظهر أنّ الجمع بين الحديثين أولى، وأن لا نفضل إحداهما على الأخرى.

وسئل السبكي هل قال أحد إنّ أحداً من نساء النبي ﷺ غير خديجة وعائشة أفضل من فاطمة؟ فقال: قال به من لا يُعتد بقوله، وهو من فضل نساء النبي ﷺ على جميع الصحابة لأنهن في درجته في الجنة. قال: وهو قول ساقط مردود انتهى.

وقائله هو أبو محمد بن حزم وفساده ظاهر، قال السبكي: ونساء النبي ﷺ بعد خديجة وعائشة متساويات في الفضل، وهن أفضل النساء لقول اللَّه تعالى: ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية[(٢)].

❊ ❊ ❊

(١) الحديث أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣) والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٩٣) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٣٩) وغيرهم.

(٢) فتح الباري (٧/ ١٠٦).

ما ورد في شأنها من الأحاديث الصحيحة

الحديث الأول:

روى البخاري في صحيحه عن عبد اللَّه بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: اعتمر رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم واعتمرنا معه فلما دخل مكة طاف وطفنا معه وأتى الصفا والمروة وأتيناهما معه وكنا نستره من أهل مكة أن يرميه أحد فقال له صاحب لي أكان دخل الكعبة؟ قال: لا. قال: فحدّثنا ما قال لخديجة؟ قال: «بشروا خديجة ببيت من الجنة من قصب(١) لا صخب فيه ولا نصب»(٢).

وفي رواية مسلم: «أكان رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم بشر خديجة ببيت في الجنة؟ قال: نعم بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»(٣).

وجاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «أتى جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول اللَّه، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة

(١) قال جمهور العلماء: الْمُرَاد بِهِ قَصَب اللُّؤْلُؤ الْمُجَوَّف كَالْقَصْرِ الْمُنِيف، وَقِيلَ: قَصَب مِنْ ذَهَب مَنْظُوم بِالْجَوْهَرِ. قَالَ أَهْل اللُّغَة: الْقَصَب مِنْ الْجَوْهَر مَا اِسْتَطَالَ مِنْهُ فِي تَجْوِيف. قَالُوا: وَيُقَالُ لِكُلِّ مُجَوَّف قَصَب وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيث مُفَسَّرًا بِبَيْتٍ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُحَيَّاةٍ، وَفَسَّرُوهُ بِمُجَوَّفَةٍ. قال الخطابي وغيره: الْمُرَاد بِالْبَيْتِ هُنَا الْقَصْر.

(٢) رواه البخاري في صحيحه - ح (١٧٩١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه - ح (٢٤٣٣).

من قصب لا صخب فيه ولا نصب»[١].

وفي رواية عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب بسند حسن عن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أبشّر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب»[٢].

الحديث الثاني:

روى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك عن موسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّ رسول اللَّه ﷺ كان يُكثر ذكر خديجة رضي الله عنها، فقلت: لقد أخلفك اللَّه - وربما قال حماد- أعقبك اللَّه من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر الأول، قالت: فتمعر وجهه تمعراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي وإذا رأى مخيلة الرعد والبرق حتى يعلم أرحمة هي أم عذاب[٣].

الحديث الثالث:

روى البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة»[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - ح (٣٨٢٠) ورواه مسلم في صحيحه - ح (٢٤٣٢).

(٢) رواه أحمد في المسند- ح (١٧٥٨)، المسند بتحقيق الأرنؤوط (٣/ ٢٨٣).

(٣) رواه أحمد في المسند - ح (٢٥١٧١) ورواه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٤٦٨) - ح (٧٠٠٨) والحاكم في المستدرك - كتاب الأدب- باب (النهي عن انقضاض النجم)- (ح٧٧٧١) واللفظ له، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان وقال: إسناده على شرط مسلم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه - ح (٣٤٣٢) ومسلم في صحيحه- ح (٢٤٣٠).

الحديث الرابع:

روى أحمد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خط رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الأرض أربعة خطوط، قال: تدرون ما هذا؟ فقالوا: اللَّه ورسوله أعلم، فقال رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران»[١].

❊ ❊ ❊

(١) قال شعيب الأرنؤوط في المسند (٥/ ٧٧) - ح (٢٩٠١): «إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح».

بعض ما رُوِيَ عنها أو في حقها من الأحاديث الضعيفة

١- روى أبو يعلى في مسنده والطبراني في المعجم الكبير من طريق سهل ابن زياد حدثنا الأزرق بن قيس عن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل عن خديجة ابنة خويلد رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه، أين أطفالي منك؟ قال: في الجنة، قالت: بغير عمل؟ قال: قد علم اللَّه ما كانوا عاملين، قالت: فأين أطفالي من أزواجي من المشركين؟ فقال: في النار قالت: بغير عمل؟ قال: قد علم اللَّه ما كانوا عاملين[(١)].

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): «رواه الطبراني وأبو يعلى ورجالهما ثقات إلا أن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل وابن بريدة لم يدركا خديجة»[(٢)].

٢- روى الإمام أحمد في مسنده عن علي رضي الله عنه قال: سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول اللَّه ﷺ: هما في النار، قال: فلما رأى الكراهية في وجهها، قال: لو رأيت مكانهما لأبغضتهما، قالت: يا رسول اللَّه، فولدي منك؟ قال: في الجنة قال: ثم قال رسول اللَّه ﷺ: إنّ المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإنّ المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (١٢/ ٥٠٤) - ح (٧٠٧٧) والمعجم الكبير (٢٣/ ١٦) - ح (٢٧) وضعفه حسين سليم أسد لانقطاعه، وقال الذهبي في السير (٢/ ١١٣): فيه انقطاع، وحكم عليه بالوضع تقي الدين ابن تيمية في درء التعارض (٨/ ٣٩٨).

(٢) مجمع الزوائد (٧/ ٢١٧).

بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾[(١)].

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لجهالة محمد بن عثمان، قال الذهبي في الميزان: لا يدرى من هو فتشت عنه في أماكن وله خبر منكر ثم ساق هذا الحديث بهذا الإسناد، وقال ابن الجوزي في جامع المسانيد - كما في كنز العمال: في إسناده محمد بن عثمان لا يقبل حديثه ولا يصح في تعذيب الأطفال حديث»[(٢)].

٣- روى الحاكم في «المستدرك» عن أبي اليقظان عمران بن عبد اللَّه عن ربيعة السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان وهو في مسجد رسول اللَّه ﷺ فسمعته يقول: كان رسول اللَّه ﷺ يقول: «خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان باللَّه و بمحمد ﷺ»[(٣)].

ضعفه الشيخ الألباني وقال: «سكت عليه الحاكم والذهبي، وكأنه لجهالة بعض رواته؛ فإن أبا اليقظان هذا لم أجد له ترجمة لا في الكنى، ولا في الأسماء. وفي الطريق إليه سعيد بن عجب الأنباري؛ ولم أعرفه أيضاً»[(٤)].

٤- روى الطبراني في (المعجم الأوسط) عن مهاجر بن ميمون عن فاطمة رضي الله عنها أنها: قالت للنبي ﷺ: أين أمنا خديجة؟ قال: في بيت من قصب لا

---

(١) رواه أحمد في المسند - ح (١١٣١).
(٢) مسند أحمد (١/ ١٣٤) وكلام الذهبي المشار إليه في الميزان (٣/ ٦٤٢)، وأعلّه ابن القيم في طريق الهجرتين (ص٥٧٥).
(٣) المستدرك (٣/ ١٨٤).
(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة (٨/ ٢٥٨) - ح (٣٧٧٩) وقال الذهبي في السير (٢/ ١١٦) بعد ذكره للحديث: «في إسناده لين».

لغو فيه ولا نصب، بين مريم وآسية امرأة فرعون، قالت: من هذا القصب؟ قال: لا بل من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت[(١)].

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): «رواه الطبراني في الأوسط من طريق مهاجر بن ميمون عنها، ولم أعرفه، ولا أظنه سمع منها واللَّه أعلم، وبقية رجاله ثقات»[(٢)].

٥- روى الطبراني في (المعجم الكبير) عن سعيد بن كثير قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو بحراء فقال: هذه خديجة قد جاءت بحيس في غزرتها فقل لها إن اللَّه يقرئك السلام، فلما جاءت قال لها إن جبريل أعلمني بك وبالحيس الذي في غزرتك قبل أن تأتي وقال اللَّه يقرئها السلام فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام[(٣)].

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): «رواه الطبراني وفيه محمد بن الحسن ابن زبالة وهو ضعيف»[(٤)].

٦- روى الزبير بن بكار والطبراني في (المعجم الأوسط) عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أطعم رسول اللَّه ﷺ خديجة من عنب الجنة»[(٥)].

(١) المعجم الأوسط (١/ ١٣٩).
(٢) مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٣) وحكم عليه بالانقطاع الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبر (ص١٧٧).
(٣) المعجم الكبير (٢٣/ ١٥) - ح (٢٥).
(٤) مجمع الزوائد (٤/ ١٩٧).
(٥) المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ (ص٣٤) والمعجم الأوسط (٦/ ١٦٨).

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): «رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفه»[(١)].

٧- روى الطبراني في (المعجم الكبير) عن ابن أبي رواد قال: دخل رسول اللَّه ﷺ على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها: بالكره مني ما الذي أرى منك يا خديجة؟ وقد يجعل اللَّه في الكره خيراً كثيراً، أما علمت أن اللَّه زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون قالت: وقد فعل اللَّه ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: نعم، قالت: بالرفاه والبنين[(٢)].

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): «رواه الطبراني منقطع الإسناد وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف»[(٣)].

٨- روى الإمام أحمد في مسنده عن عفيف الكندي قال: كنت امرءاً تاجراً فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرءاً تاجراً فواللَّه إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت يعنى قام يصلي، قال: ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلي، ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلي، قال: فقلت للعباس: من هذا يا عباس؟ قال: هذا محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب ابن أخي، قال: فقلت: من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة ابنة

(١) مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٥).
(٢) المعجم الكبير (٢٢/ ٤٥١).
(٣) مجمع الزوائد (٩/ ٢١٨).

خويلد، قال: قلت: من هذا الفتى؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه، قال: فقلت: فما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلي، وهو يزعم أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر، قال: فكان عفيف وهو ابن عم الأشعث بن قيس يقول - وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه-: لو كان اللَّه رزقني الإسلام يومئذ فأكون ثالثاً مع علي بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جداً.

٩- روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سألت رسول اللَّه ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال: قد رأيته في المنام فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض.

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة»[٢].

وقال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) بعد ذِكر الحديث السابق: «وهذا إسناد حسن، لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلًا، فاللَّه أعلم»[٣].

* * *

(١) مسند أحمد - ح (١٧٨٧).
(٢) مسند أحمد - ح (٢٤٤١٢).
(٣) البداية والنهاية (٣/ ٩).

خاتمة

إنّ الناظر لحياة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وإلى تاريخها التليد مع رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، ليقف حائراً أمام الكلمات التي يبدأ فيها وينتهي.

فعلى قلة ما رُوي عن حياتها رضي الله عنها في تلك المرحلة المبكرة من عمر النبوة إلى أنّ لخديجة رضي الله عنها رصيداً عظيماً من المعاني الإنسانية التي تتفجر ينابيعها من حين لآخر طالما كانت قراءتنا للتاريخ قراءة واعية ومتعمقة.

هذه خديجة التب أحبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم زوجاً وأحبناها بنين وحفدة...

هذه خديجة بما في التاريخ من حروف وكلمات يمكن لها أن تصيغ أحداث حياتها.

لئن كانت الحاجة بالأمس إلى مُثُلٍ عليا يستلهم منها المرء معاني العزة والإباء والتضحية والإيمان، فنحن اليوم إلى هذه المُثُلِ أحوج.

ولئن كانت المرأة المسلمة بالأمس - على كثرة المؤمنات العاملات لهذا الدين آنذاك - تتطلع إلى الكُمّلِ من النساء وعلى رأسهن خديجة رضي الله عنها، فإنهن اليوم إليها أحوج.

وهذه الوريقات التي خطّها قلمي في كتابة سيرتها العطرة هي بضاعتي المزجاة التي أرجو أن يتقبلها اللَّه تعالى مني، وإن كانت خديجة في الفكر والفؤاد أكبر وأجل.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين

المراجع

١- الأدب المفرد – الإمام محمد بن إسماعيل البخاري– تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي– دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٨٩م.
٢- الاستيعاب – الإمام ابن عبد البر – تحقيق: علي محمد البجاوي– دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة – الحافظ عز الدين بن الأثير – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى، د ت.
٤- الإصابة – الحافظ ابن حجر العسقلاني – تحقيق الشيخين عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض– دار الكتب العلمية– بيروت– الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٥- إمتاع الأسماع - تقي الدين المقريزي - تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٦- الأنساب - السمعاني- تقديم وتعليق عبد اللّه عمر البارودي - دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٧- أنساب الأشراف - البلاذري - تحقيق د. سهيل زكّار ود. رياض زركلي- دار الفكر - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
٨- البحر الزخّار - الحافظ أبو بكر أحمد البزّار - تحقيق د. محفوظ الرحمن زين اللّه - مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم - بيروت ١٤٠٩هـ.
٩- بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة - الإمام برهان الدين البقاعي الشافعي - تحقيق د. محمد نبيل طريفي - دار الفكر العربي - بيروت، د ت.
١٠- تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
١١- تاريخ مدينة دمشق - الحافظ ابن عساكر - تحقيق علي شيري - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ١٤١٥هـ.

١٢- تهذيب التهذيب - الحافظ ابن حجر العسقلاني - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.
١٣- الجامع لشعب الإيمان – الإمام البيهقي – تحقيق: د.عبد اللَّه العلي عبد الحميد حامد – زوارة الأوقاف القطرية – الطبعة الأولى – ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
١٤- دلائل النبوة - الإمام البيهقي - خرج أحاديثه د.عبد المعطي قلعجي - دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
١٥- ذخائر العقبى- أحمد بن عبد اللَّه الطبري - مكتبة القدسي - القاهرة - طبعة ١٣٥٦هـ.
١٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
١٧- سنن النسائي - الإمام أحمد بن شعيب النسائي - تحقيق عبدالفتاح أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٨- سير أعلام النبلاء - الإمام الذهبي- تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة التاسعة - ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.
١٩- السيرة النبوية - ابن هشام الحميري - تحقيق: محمد محيي الدين - مكتبة محمد علي صبيح - مصر - طبعة ١٩٦٣م.
٢٠- السيرة النبوية الصحيحة - أ.د.أكرم ضياء العمري - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - الطبعة السادسة ١٩٩٤م.
٢١- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية - أ.د.مهدي رزق اللَّه أحمد - دار إمام الدعوة الرياض- الطبعة الثانية، د ت.
٢٢- الطبقات الكبرى - الإمام ابن سعد - تحقيق إحسان عباس - دار صادر -

بيروت - الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

٢٣- العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج- عبد الفتاح أبو غدة- مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

٢٤- عمدة القاري - الإمام العيني - دار إحياء التراث العربي- بيروت - د ت.

٢٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري- الحافظ ابن حجر العسقلاني- دار المعرفة - بيروت - ١٣٧٩هـ.

٢٦- فقه السيرة - الشيخ محمد الغزالي - تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٢٧- في رحاب أهل البيت (ع) - محمد حسين فضل اللّه - إعداد سليم الحسني - مكتبة الفقيه - الكويت - الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.

٢٨- ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية - محمد بن عبد اللّه العوشن - دار طيبة - الرياض - الطبعة الأولى.

٢٩- المُحبّر - محمد بن حبيب - تحقيق: إيلزة ليختن - دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة الأولى.

٣٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- الحافظ نور الدين الهيثمي - بتحرير الحافظين الجليلين : العراقي وابن حجر - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - طبعة ١٩٨٨م.

٣١- مختصر الشمائل المحمدية - الإمام أبو عيسى الترمذي - اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني - المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن - الطبعة الأولى.

٣٢- معجم ابن الأعرابي - أحمد بن محمد بن الأعرابي - تحقيق عبد المحسن الحسيني - دار ابن الجوزي - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٣٣- المعجم الأوسط- الحافظ الطبراني- تحقيق قسم التحقيق بدار الحرمين - دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٤- المعجم الكبير - الحافظ الطبراني - تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الثانية، د ت.
٣٥- المنتخب من ذيل المذيل–الطبري- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- لبنان - الطبعة الأولى، د ت.

